

موقف الطاهر بن عاشور من فرقة الخوارج من خلال تفسير التحرير والتنوير "عرض ودراسة"

The attitude of ElTaher Ben Ashour from Kharijite Sect through the interpretation of writings and enlightenment (study & demonstration)

إعداد الباحثة

نادية محمد الشريفي

Nadia Mohamed Elsherifi

باحثة دكتوراه بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

كلية الشريعة وأصول الدين - جامعة الملك خالد

المملكة العربية السعودية

موقف الطاهر بن عاشور من فرقة الخوارج

من خلال تفسير التحرير والتنوير "عرض ودراسة"

نادية محمد الشريفي
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة ، كلية الشريعة وأصول الدين ، جامعة الملك خالد ، المملكة العربية السعودية
البريد الالكتروني: Nadiah.25.1408@gmail.com

الملخّص :

يتناول هذا البحث موقف الإمام الطاهر بن عاشور من فرقة الخوارج، وذلك من خلال تفسيره القيم التحرير والتنوير، وقد اعتمدت على المنهج الوصفي القائم على الاستقراء والاستنباط، والمنهج التحليلي، ويتمثل في استقراء تفسير التحرير والتنوير، واستنباط آراء وأقوال فرقة الخوارج من خلال تفسير التحرير والتنوير، ثم استنباط آراء ومواقف الطاهر بن عاشور من هذه الفرقة، في دراسة تحليلية نقدية.

وقد جاء البحث في ثلاثة مباحث، في المبحث الأول تعريف بالإمام الطاهر ابن عاشور، ومكانته العلمية، وفي المبحث الثاني التعريف بتفسير التحرير والتنوير، ومنهج الطاهر بن عاشور في تفسيره، ومصادره في التفسير، والمبحث الثالث عرفت بفرقة الخوارج، ونشأتها، وآرائها الاعتقادية، والخوارج في تفسير التحرير والتنوير وموقف ابن عاشور منها في مسائل الإيمان، ومرتكب الكبيرة والحكم عليه، والإمامة، والشفاعة، وأطفال المشركين، ورؤية الله جل وعلا في الآخرة.

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها تميز ابن عاشور بثقافة شرعية، لغوية، وفلسفية، مع إلمامه بشتى العلوم التي تضمنها القرآن الكريم، كما كان له معرفة بالأديان والملل والنحل، كما حظي تفسير التحرير والتنوير بمكانة علمية لما احتواه من كنوز معرفية في شتى المجالات، وعرض ابن عاشور آراء الخوارج في مسائل الإيمان ومرتكب الكبيرة والحكم عليه، والإمامة، والشفاعة، وأطفال المشركين، ورؤية الله في الآخرة، وقدم استخدم في رده عليهم أسلوباً نقدياً.

الكلمات المفتاحية: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الخوارج ، الإيمان ، الكبيرة.

The attitude of ElTaher Ben Ashour from Kharijite Sect through the interpretation of writings and enlightenment (study & demonstration)

Nadia Mohamed Elsherifi
Department ; Sectarian & contemporary creeds، faculty of Sharia and Originality of Religion ، Khaled King University ، Kingdom of Saudi Arabia .
E-mail: Nadiah.25.1408@gmail.com

Abstract :

This research will tackle the attitude of Imam ElTaher Ben Ashour from Kharijite Sect ، though the explanations of values in writings and enlightenment as this study has focused on the descriptive curriculum based on the induction and deduction and the analytical curriculum in which based on the induction in explanation of writings and enlightenment and to deduct the opinions and sayings of Kharijite sect through the explanations of writings and enlightenment and the induction of opinions and attitudes of Eltaher Ben Ashour from this sect in a criticized analytical study

This study has summarized in three chapters ، the first chapter is handling the definitions of Imam ElTaher Ben Ashour and his scientific post ، and then the second chapter is handling : the definitions of explanations of writings and enlightenment and the curriculum of ElTaher ben Ashour in his explanations ، and the sources of explanations , and the third chapter is handling : the identification of Kharijite sect

and its arisen and their belief opinions and the Kharijite sect in explanations of writings and enlightenment and his attitude towards Ben Ashour and other problems of faith and the perpetrator of major sins and its judgment and being Imam and Intercession ، idolatrous children and the vision of God almighty in the eternal life

Keywords: Eltaher Ben Ashour ، Writings and enlightenment ، Kharijite ، Faith ، Major sins



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلق الله، محمد بن عبد الله، خير من جاهد في الله بلسانه ويده، ففتح الله به قلوباً غلفاً، وآذاناً صماً، كشف الله به الغمة، وأقام به الحجة، وأزاح به الظلمة، وجاء بشريعة ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فصلى الله عليه وعلى آله، وصحبه، وعلى من سار على نهجه، واقتفى أثره، واهتدى بهديه، إلى يوم يبعثون.

أما بعد:

فمن خلال قراءاتي وتوجيه أساتذتي الفضلاء بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بالكلية وقفت على تفسير التحرير والتنوير للعلامة الطاهر بن عاشور المتوفى سنة (١٣٩٣هـ) فوجدته من أبرز كتب التفسير المعاصرة التي عنيت بدراسة الفرق الكلامية الإسلامية.

ومن ثم آثرت دراسة فرقة الخوارج من خلال تفسير التحرير والتنوير لأهميتهما، ولكونهما من أبرز الفرق الكلامية الإسلامية التي ألقت بظلالها على واقعنا المعاصر.

فإن الأحداث التي أعقبت أحداث الفتنة الكبرى، وما صاحب ذلك من صراعات وانقسامات أفرزت فرقا وتيارات تبنت في البداية مواقف سياسية تجاه مؤسسة الخلافة والحكم، سرعان ما تحولت هذه المواقف إلى أطروحات نظرية. وكان موضوع (الكفر والإيمان) أول موضوع يطرح للبحث والنقاش النظري الكلامي. هذه النقاشات النظرية أفرزت فرقاً كلامية دينية لها أفكارها، ومبادئها، ونظرياتها، وطرق دفاعها عنها.

ومن أبرز تلك الفرق: الخوارج: التي ظهرت بعد رفض مجموعة من أتباع عليّ (رضي الله عنه وأرضاه)، التحكيم بينه وبين معاوية رضي الله عنه بعد معركة صفين سنة ٣٧هـ، إذ كانت السبب الأبرز في ظهور فرقة الخوارج الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه وأرضاه) حتى انتهى بهم الأمر إلى قتله في المسجد سنة ٤٠هـ.

وقد تحدث العلامة الطاهر بن عاشور في كتابة القيم تفسير التحرير والتنوير عن جميع الفرق الكلامية الإسلامية نظرا لأهميتها وارتباط بعضها ببعض وتأثير بعضها في بعض، وكذلك عرض آرائها في كل مسألة من مسائل الاعتقاد مبينا موقفه منها، محاولاً إظهار الحق ورد الباطل في حوار ونقاش متشبع بالتسامح، متحريًّا ما يجمع كلمة الأمة ولم شملها.

ولما كان تتبع سائر الفرق الكلامية الإسلامية من خلال تناول ابن عاشور لها في تفسيره من الصعوبة بمكان نظراً لتشعبها آثرت أن يقتصر بحثي على تناول فرقة الخوارج.

وبناء عليه اخترت للبحث العنوان الآتي: موقف الطاهر بن عاشور من فرقة الخوارج من خلال تفسير التحرير والتنوير (عرض ودراسة).

أولاً: أهمية البحث:

١. كون منهج الطاهر ابن عاشور في دراسة الفرق يغلب عليه الصبغة التجميعية من خلال محاولته جمع كلمة المسلمين والفرق الإسلامية والأخذ بالأحسن والأصوب من هذه الآراء قياسا على القرآن الكريم والسنة النبوية فلم يكن متعصبا لمذهبه الأشعري.

٢. يعد تفسير التحرير والتنوير للعلامة ابن عاشور موسوعة علمية شاملة، ليست مقتصرة على العلوم الشرعية فقط بل يشمل العلوم اللغوية، والمنطقية والفلسفية، ولا غرابة في ذلك فقد قضى جل حياته في كتابة هذا التفسير.

٣- معاصرة الطاهر بن عاشور لفترة تاريخية حرجة من تاريخ أمتنا الإسلامية تمتد من أواخر القرن

التاسع عشر وحتى الربع الأخير من القرن العشرين تلك الفترة التي كانت تعصف بالأمة الإسلامية، كثير من الأزمات، كالاستعمار الغربي، والانقسامات الداخلية والخارجية.

ثانياً: أسباب اختيار البحث:

١- تناول العلامة ابن عاشور في تفسير التحرير والتنوير جميع الفرق الإسلامية الكلامية، فمن النادر أن تجد عالما يتناول جميع الفرق الإسلامية الكلامية في مؤلف لم يخصصه لذلك.

٢- إن بلاد المغرب الإسلامي كغيرها من بلاد المسلمين يوجد بها علماء أجلاء مصلحون أفنوا حياتهم في خدمة هذا الدين فَحَري بنا كباحثين أن نبرز جهود هؤلاء العلماء لهذه الأمة فجزاهم الله عما قدموا لهذا الدين خير الجزاء.

٣- إكمالاً لما بدأه كثير من الباحثين الذين تناولوا العلوم المختلفة من خلال تفسير التحرير والتنوير للعلامة ابن عاشور في أبحاثهم.

٤- ميلي لهذا النوع من الدراسات الإسلامية التأصيلية.

ثالثاً: أهداف البحث:

تتمثل أهداف البحث في الآتي:

١- جمع ما أورده ابن عاشور حول فرقة الخوارج ودراسته ومناقشته.

٢- بيان كيفية تناول ابن عاشور لفرقة الخوارج ومعالجته لآرائهما وأطروحاتهما.

٣- بيان إلى أي مدى يمكن الاستفادة من مواقف وآراء الطاهر بن عاشور في حل مشكلاتنا المعاصرة في هذا المجال.

٤- ربط طلاب العلم والباحثين معرفيا بالعلماء الربانين ممن كان لهم أثر ملموس في كل قطر من أقطار العالم الإسلامي.

خامساً: أسئلة البحث:

في ضوء ما سبق يمكن تحديد الأسئلة التي سيجيب عنها البحث في الآتي:

١- ما موقف الطاهر بن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير من فرقة الخوارج؟

٢- ما أهم آراء ومعتقدات فرقة الخوارج؟

٣- إلى أي مدى يمكن الاستفادة من موقف الطاهر بن عاشور في حل مشاكلنا المعاصرة؟

سادساً: الدراسات السابقة:

لم أجد حسب بحثي في مركز الملك فيصل للبحوث، ومركز الملك فهد، وكذلك الجامعات رسالةً، أو بحثاً، أو كتاباً يتناول بالدراسة موضوع (موقف الطاهر بن عاشور من فرقة الخوارج من خلال تفسير التحرير والتنوير عرض ودراسة) لا من حيث التشابه الكلي أو الجزئي، مع وجود بعض الدراسات العقدية التي تناولت المسائل العقدية والآراء الكلامية في هذا التفسير.

ومن أهم هذه الدراسات:

١- منهج الطاهر بن عاشور في أصول الاعتقاد "دراسة وتقويما"، للباحث: محمد حسن سعيد العمري، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود، تشير هذه الدراسة لعرض منهج ابن عاشور في أصول الاعتقاد وتقويمه.

٢-محمد الطاهر ابن عاشور: مذهبه وآراؤه العقدية للباحثة حجيبة شيدخ رسالة ماجستير جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة – بالجزائر، تشير هذه الدراسة لعرض مذهب ابن عاشور وآرائه العقدية.

٣-القضايا العقدية الكبرى من خلال تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور – دراسة وتخريج – إعداد الطالبة الباحثة: كريمة بوعلي، إشراف الدكتور: محمد الكتاني، (رسالة دكتوراه)، كلية أصول الدين بجامعة القرويين تطوان، بالمغرب نوقشت في: (٢٠١٣/١٢/٠٢).

تعرض هذه الدراسة القضايا العقدية الكبرى وتخريجها من خلال تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور.

٤-ابن عاشور وآراؤه الكلامية من خلال تفسير التحرير والتنوير. دكتوراه/ د. غازي الزبير/ جامعة سيدي محمد بن عبدالله. المغرب

تشير هذه الدراسة لآراء ابن عاشور الكلامية من خلال تفسيره التحرير والتنوير.

ومما سبق يتبين أن تلك الدراسات لم يتطرق أي منها لدراسة موقف الطاهر بن عاشور من فرقة الخوارج من خلال تفسير التحرير والتنوير، للعلامة ابن عاشور إنما تناولت القضايا العقدية.

سابعاً: منهج البحث:

اعتمدت في هذا البحث على المنهج الوصفي القائم على الاستقراء والاستنباط، والمنهج التحليلي، ويتمثل في استقراء تفسير التحرير والتنوير، واستنباط آراء وأقوال فرقة الخوارج من خلال تفسير التحرير والتنوير، ثم استنباط آراء ومواقف الطاهر بن عاشور من هذه الفرقة، في دراسة تحليلية نقدية.

ثامناً: خطة البحث:

يشتمل هذا البحث على مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة. أما المقدمة: فقد اشتملت على أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطته.

المبحث الأول: التعريف بالعلامة الطاهر بن عاشور، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: نسب ابن عاشور ومولده.

المطلب الثاني: مكانته العلمية.

المبحث الثاني: التعريف بتفسير التحرير والتنوير، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بتفسير التحرير والتنوير.

المطلب الثاني: منهج ابن عاشور في تفسيره.

المطلب الثالث: مصادره في التفسير.

المبحث الثالث: الخوارج من خلال تفسير التحرير والتنوير، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالخوارج ونشأتهم وآرائهم الاعتقادية.

المطلب الثاني: آراء الخوارج الاعتقادية من خلال تفسير التحرير والتنوير.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث.

المبحث الأول

التعريف بالعلامة الطاهر بن عاشور

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: نسب ابن عاشور ومولده

وفيه خمسة فروع:

الفرع الأول: اسمه ونسبه

هو الإمام محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، مولده ووفاته ودراسته بها[١] يعود نسبه إلى أسرة آل عاشور الأندلسيين، فرت هذه الأسرة من القهر والتنصير الذي كان يمارسه الأسبان ضد المسلمين بعد سقوط الخلافة الإسلامية هناك، وذكر العلماء أن لهذه الأسرة حبلاً موصولاً بآل بيت النبي ﷺ، كما أشار إلى ذلك الحبيب بن خوجة أحد تلاميذه، ومما يؤكد ذلك ما ذكره آدم جمعة في رسالته منهج الإمام ابن عاشور في تقرير العقيدة من خلال تفسيره التحرير والتنوير أن جميع المراجع سكتت عن هذا النسب الشريف، واكتفت بالإشارة إلى ذلك، ويبدو أن مسألة الانتساب للبيت النبوي مسألة متعارف عليها في عائلة الشيخ، وأنها من الشهرة والوضوح دون البحث عن حقيقة هذا النسب وتوثيقه[٢].

---

(١) الزركلي؛ خير الدين بن محمود بن محمد بن علي، الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م، (٦ / ١٧٤)

(٢) آدم جمعة آدم، منهج الإمام ابن عاشور في تقرير العقيدة من خلال تفسيره التحرير والتنوير، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، جامعة أم درمان، السودان، ٢٠٠٤م، ص٤٣.

الفرع الثاني: مولده ونشأته

أولاً: مولده: كان مولد محمد الطاهر بن عاشور بالمرسى، وهي ضاحية من الضواحي الشمالية من تونس، وذلك سنة ١٢٩٦هـ / ١٨٧٩م في قصر جده لأمه الشيخ محمد العزيز بوعتور[١].

ثانياً: نشأته:

نشأ ابن عاشور في بيئة علمية؛ فجده لأبيه عالم، وهو قاضي قضاة الحاضرة التونسية، وجده لأمه الشيخ محمد العزيز بو عتور عالم أيضاً تولى الوزارة، والأسرة من أفضل أسر العاصمة، لها مكتبات علمية المكتبة العاشورية[٢] ، ويعد الشيخ الحبيب بن الخوجة نشأة العلامة ابن عاشور تميزت بأنها على أكمل الصفات الدينية وأفضل المناهج التربوية وخير القيم والمبادئ الأخلاقية التي توافرت جميعها ي هذه البيئة الأصلية الراقية العلمية، حيثما كان مع أبيه وجده سواء، كانوا بتونس أو منوبة أو المرسى[٣] .

حفظ ابن عاشور القرآن وهو في سن السادسة، وكذلك المتون العلمية، ثم تعلم ما تيسر من اللغة الفرنسية، ولما بلغ الرابعة عشرة من عمره التحق بجامع الزيتونة سنة ١٣١٠هـ، وكان متعطشاً ومحباً للمعرفة ومن العلوم التي تعلمها في الزيتونة: النحو، البلاغة، الأدب، المنطق، علم الكلام، الفقه وأصوله، الحديث

---

(١) النذير أوسالم محمد، الاختيارات العلمية للعلامة محمد الطاهر ابن عاشور من خلال تفسيره التحرير والتنوير، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م، ص١٩.

(٢) النعيم؛ عبير عبد الله قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره والتحرير والتنوير، دراسة تأصيلية تطبيقية تقديم فهد بن عبد الرحمن الروقي، الرياض، دار التدمرية، ط١، ١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م، ص٢٩.

(٣) ابن الخوجة، محمد الحبيب، محمد الطاهر، بن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر ط١، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٥م، (١ / ١٥٤).

والسيرة، وهذه الثقافة الإسلامية كانت سائدة في عصر ابن عاشور وقبل عصره، ولم يكتف ابن عاشور بما تلقاه في الزيتونة، بل كان يقضي كل أوقاته بمطالعة الكتب وتحريرها؛ فثقافة ابن عاشور كانت شرعية ولغوية وفلسفية، مع إلمام بشتى العلوم التي تضمنها القرآن الكريم، كما كانت له معرفة بالأديان والملل والنحل، وكان منفتحاً على عصره(١).

الفرع الثالث: شيوخه وتلاميذه

أولاً: أهم شيوخ ابن عاشور:

١- جده الوزير محمد بوعتور هو الشيخ محمد العزيز بن محمد الحبيب بن الوزير محمد بن محمد، ولد سنة ١٢٤٠هـ، بتونس تولى وزارة المالية سنة ١٢٨٣هـ، وقد جمع بين العلم وجودة النظر في السياسة، كان الشيخ يمتلك مكتبة ضخمة غنية بكثير من الكتب والمخطوطات، وقد آلت لحفيده الشيخ ابن عاشور توفي سنة ١٣٢٥هـ(٢).

٢- الشيخ سالم بوحاجب، ولد سنة ١٢٤٤هـ، كان شغله من الذكاء النادر؛ فهو من أبرز أعلام عصره فقيه محقق لغوي، أديب وشاعر، ملم بالتاريخ والجغرافيا، والرياضيات، واسع الأفق ومصلح إسلامي، تتلمذ مترجمنا على يد هذا الشيخ وخصوصاً في الحديث، والسيرة، توفي سنة ١٣٤٣هـ(٣).

٣- الشيخ عمر بن الشيخ، ولد سنة ١٢٣٩هـ، وكان يُعرف بحسن التدريس، وقد اعترف له ابن عاشور بذلك بقوله: (وأنا ما رأيت في علماء جامع

---

(١) الاختيارات العلمية، ص ١٩.
(٢) تفسير التحرير والتنوير دراسة منهجية ونقدية، (١ / ٢٢).
(٣) ابن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة، ص١٤٣.

الزيتونة من يسلك في دروسه غير طريقة الإلقاء إلا الشيخ عمر بن الشيخ)، توفي سنة ١٣٢٩هـ(١) .

٤- الشيخ محمد النخلي، من كبار العلماء التونسيين، كان ممن يُشهد لهم بالرسوخ ي العلم وسعة الاطلاع وجودة البيان، درس في الزيتونية، والخلدونية فلسفة الأخلاق، تأثر بالشيخ محمد عبده في آرائه الإصلاحية، توفي سنة ١٣٤٢هـ(٢).

ولابن عاشور شيوخه وأساتذته غير هؤلاء الذين تقدم ذكرهم، وقد تركوا أثراً انعكس على شخصيته العلمية.

ثانياً: أهم تلاميذ ابن عاشور:

١- محمد الفاضل بن محمد الطاهر بن عاشور، ولد سنة ١٣٢٧هـ، أديب وخطيب مشارك في علوم الدين من طلائع النهضة الحديثة النابهين في تونس، شغل منصب القضاء ثم منصب مفتي الجمهورية، عاش في حياة أبيه مسترشداً بتوجيهه ومعتمداً على مكتبته الحافلة بالنفائس، توفي سنة ١٣٩٠هـ(٣).

٢- محمد الشاذلي بن محمد الصادق النفير، ولد سنة ١٣٣٠هـ، من كبار علماء تونس، ولد في بيت علم وشرف، حصل على شهادة الزيتونة، وتولى الإمامة والخطابة، عرف بمواقفه ونشاطه الوطني، فلوحق من المستعمرين، كان عضواً في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي ومجمع الفقه الإسلامي، توفي سنة ١٤١٨هـ(٤).

---

(١) شيخ الجامع الأعظم حياته وآثاره، ص٤٢.
(٢) تفسير التحرير والتنوير دراسة منهجية ونقدية، ص٢٤.
(٣) الأعلام للزركشي، (٦ / ٣٢٥).
(٤) محمد الطاهر بن عاشور، علامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه،ص٤٩.

٣- محمد الحبيب بن خوجة، ولد سنة ١٣٤١هـ، شغل منصب الإفتاء بتونس، وهو أمين عام مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة العالم الإسلامي، كتب عن شيخه ابن عاشور مترجماً، ودارساً لفكره وآثاره العلمية، ولعل أوسع دراسة له عن ابن عاشور وسمها بمحمد الطاهر ابن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة، ولقد توفي سنة ١٤٣٣هـ(١).

ولابن عاشور تلاميذ غير الذين تقدم ذكرهم.

الفرع الرابع: مؤلفاته:

أولاً: مؤلفاته المطبوعة:

أ: المؤلفات في العلوم الإسلامية:

١- التحرير والتنوير، وسماه ابن عاشور في مقدمته ب: (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، واختصره بالاسم أعلاه، وهو من أشهر كتب ابن عاشور وأكبرها، وهو يعد الموسوعة الضخمة في تفسير القرآن الكريم، طبع في الدار التونسية للنشر سنة ١٩٨٤م.

٢- مقاصد الشرعية الإسلامية، طبع عدة طبعات، أولها سنة ١٩٤٦م، بدار الاستقامة بتونس، وآخرها عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بقطر سنة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٣- النظر الفسيح عند مضايق الأنظار في الجامع الصحيح، صدر عن الدار العربية للكتاب بتونس سنة ١٩٧٩م.

٤- كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ، طبع بتونس ٢٠٠٦م.

٥- الوقف وأثره في الإسلام نشر في مجلة الهداية الإسلامية بالقاهرة، المجلد التاسع، الجزء الرابع، ص ٢٤١- ٢٥٦، وطبعت بتونس مجموعة.

٦- المولد النبوي الشريف، طبع بتونس سنة ١٩٧٢م.

---

(١) الاختيارات العلمية، ص٣٢.

٧- تحقيقات وأنظار في القرآن والسنة، صدر عن دار السلام بتونس سنة ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

ب: المؤلفات في اللغة العربية وآدابها

١- موجز البلاغة، طبع بتونس سنة ١٩٣٢م.

٢- أصول الإنشاء والخطابة، طبع بتونس سنة ١٣٣٩هـ.

٣- شرح قصيدة الأعشى في مدح المحلق، طبع بدار العرب سنة ١٩٢٩م.

٤- شرح ديوان بشار، جمع وشرح وتحقيق ابن عاشور، نشر الشركة التونسية سنة ١٩٧٦م، في أربعة أجزاء.

٥- الواضح في مشكلات شعر المتنبي لأبي القاسم الأصفهاني تحقيق وتعليق: ابن عاشور، طبع في الدار التونسية للنشر.

٦- سرقات المتنبي ومشكلة معانيه، طبع بالدار التونسية للنشر سنة ١٩٧٠م.

٧- ديوان النابغة، شرح وجمع وتعليق، ابن عاشور، طبع بالدار التونسية سنة ١٩٧٦م.

ج: المؤلفات العامة:

١- نقد علمي لكتاب الإسلام وأصول الحكم، صدر عن المطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٤٤هـ.

٢- أليس الصبح بقريب طبع بالاشتراك بين دار السلام بمصر ودار سحنون بتونس سنة ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٣- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، طبع عدة طبعات، أولها عن الشركة التونسية للنشر سنة ١٩٨٥م، وثانيها مشاركة بين الشركة التونسية بتونس والمؤسسة الوطنية بالجزائر، وآخرها عن دار النفائس بالأردن تحت إشراف محمد الطاهر الميساوي.

ثانياً: مؤلفاته المخطوطة:

١- أصول التقديم في الإسلام.

٢- تراجم بعض الأعلام.

٣- تعليقات وتحقق على حديث أم زرع.

٤- كتاب تاريخ العرب.

٥- قضايا وأحكام شرعية(١).

وقد اعتمدت في نقلي لمؤلفاته المخطوطة على بحث مضى عليه عشر سنوات، ومن الممكن أن يكون بعضها قد تم تحقيقه بالفعل خلال هذه الفترة.

الفرع الخامس: وفاته:

توفي الإمام ابن عاشور رحمه الله يوم الأحد الموافق ١٣ من رجب سنة ١٣٩٣هـ بعد حياة حافلة بالجد والنشاط، والإفادة، والتآليف القيمة، يقول الدكتور بلقاسم الغالي: "وموت أعلام الفكر موت لأجسامهم، ومنهم من يدخل بوفاته حياة الذكر والفكر، فيقبل الناس على آثارهم يتدارسونها"(٢).

وبعد مضي تسعة وأربعين عاماً من وفاة هذا العلم الجليل ها نحن نتدارس سيرته وتفسيره.

---

(١) أبو حسان جمال محمود أحمد، الإمام محمد الطاهر بن عاشور: سيرة ومواقف، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، الأردن، المجلد الخامس، العدد (أ / ٣)، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، ص٧٤.

(٢) شيخ الجامع الأعظم حياته، وآثاره، ص ٦٨.

المبحث الثاني

التعريف بتفسير التحرير والتنوير

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بتفسير التحرير والتنوير

اسم الكتاب:

قال العلامة ابن عاشور في حديثه عن تسمية تفسيره: وسميته "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" ثم ذكر اسمه المختصر بقوله: واختصرت هذا الاسم باسم "التحرير والتنوير من التفسير"(١)، والاسم المشهور له (تفسير التحرير والتنوير) كما هو موجود على غلاف الكتاب المطبوع المتعارف عليه بين الأوساط العلمية.

قصة تأليف الكتاب وبدايته ونهايته:

كان تفسير القرآن الكريم أكبر أمنية يتمناها ابن عاشور قائلاً:" فقد كان أكبر أمنيتي منذ أمد بعيد، تفسير الكتاب المجيد الجامع لمصالح الدنيا والدين"(٢)، وبعد تردد واستخارة واستعانة بالله ﷻ، أقدم ابن عاشور على التفسير إقدام الشجاع على وادي السباع، وكانت بداية التأليف عام ١٣٤١هـ، والانتهاء منه عام ١٣٨٠هـ، والمدة التي قضاها ابن عاشور في تأليفه لهذا الكتاب تسع وثلاثون سنة وستة أشهر، وخلال هذه الفترة الطويلة لم يقتصر ابن عاشور على تأليف هذا الكتاب فقط، بل كانت له مؤلفات أخرى ومهام(٣).

---

(١) تفسير التحرير والتنوير، (١ / ٨).

(٢) المصدر السابق، (١ / ٥).

(٣) التقريب لتفسير التحرير والتنوير، (١ / ٣٦).

وقد ختم ابن عاشور تفسيره بكلمات قيمة ومؤثرة بقوله: "وإن كلام رب الناس، حقيق بأن يخدم سعياً على الرأس، وما أدى هذا الحق إلا قلم المفسر يسعى على القرطاس، وإن قلمي طالما استن بشوط فسيح، وكم زجر عند الكلال، والإعياء زجر الميح، وإذ قد أتى على التمام فقد حق له أن يستريح"[(١)].

وقد تعددت طبعات هذا التفسير، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

١- الدار التونسية للنشر والتوزيع سنة ١٩٧٢م، وقد طبع على شكل أجزاء صغيرة.

٢- الدار التونسية للنشر والشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر سنة ١٩٨٤م.

٣- دار سحنون بتونس سنة ١٩٨٤م التي اشتملت على ثلاثين جزء في خمسة عشر مجلداً.

أما عدد صفحات التفسير، فقد بلغ عددها أحد عشر ألفاً ومئة وسبعاً وتسعين صفحة[(٢)].

غرض ابن عاشور من تفسيره:

كان هدف ابن عاشور من تفسيره إيضاح معاني القرآن الكريم وبيان إعجازه بطريقة لم يسبقه أحد إليها، وقد صرح بذلك قائلاً: فجعلت حقاً علي، أن أبدي في تفسير القرآن نكتاً لم أرى من سبقني إليها، وأن أقف موقف الحكم بين طوائف المفسرين تارة لها وأونة عليها، فإن الاقتصار على الحديث المعاد تعطل لفيض القرآن الذي ما له من نفاد"[(٣)].

---

(١) تفسير التحرير والتنوير (٣٠ / ٦٣٦).
(٢) التقريب لتفسير التحرير والتنوير (١ / ٣٦).
(٣) تفسير التحرير والتنوير، (١ / ٧).

المطلب الثاني: منهج ابن عاشور في تفسيره

وقد نهج ابن عاشور في تفسيره منهج الدراية والرواية؛ فهو يفسر القرآن بالقرآن، ويفسر القرآن بالحديث الشريف وبأقوال الصحابة والتابعين، ونجده في المقدمة الثالثة يتحدث عن صحة التفسير بغير المأثور، ومعنى التفسير بالرأي، قال الشيخ بن عاشور: "أتراك بما عددت من علوم التفسير تثبت أن تفسيراً كثيراً للقرآن لم يستند إلى ما أثر عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه، وتبيح لمن استجمع تلك العلوم حظاً كافياً وذوقاً ينفتح له بهما من معاني القرآن ما ينفتح عليه، أن يفسر من آي القرآن بما لم يؤثر عن هؤلاء فيفسر بمعانٍ تقتضيها العلوم التي يستمد منها علم التفسير، وكيف حال التحذير الواقع، فعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار»[(١)]، وفي حديث آخر أن النبي ﷺ قال: «من قال في القرآن برأيه، فأصاب فقد أخطأ»[(٢)].

وإذا تأملنا تفسير التحرير والتنوير نجد أن ابن عاشور اهتم بالتفسير بالمأثور، فهو يهتم بإيراد الأدلة النقلية أثناء تفسيره، كما يذكر أسباب النزول وأقوال الصحابة والتابعين، ومع ذلك كان يعتمد في تفسيره على الرأي المحمود الذي يراه صائباً لبيان معاني القرآن[(٣)].

كما اهتم ابن عاشور في تفسيره بعلم البلاغة؛ ولهذا جاء تفسيره حافلاً بدقائق البلاغة ونكاتها وأفانينها، فلا تكاد تمر بآية إلا وتجده قد بين أنها مشتملة على فن أو أكثر من فنون البلاغة، يقول الدكتور محمد إبراهيم الحمد: "ولا أبالغ

---

(١) رواه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه (٥ / ٤٩)، ح (٢٩٥٠)، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن.

(٢) رواه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه (٥ / ٥٠)، ح (٢٩٥٢)، قال أبو عيسى: هذا حديث غريب.

(٣) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، وزهرة التفاسير لمحمد أبي زهرة (١٦ – ٢٠)، ص ٤٠.

إذا قلت إن هذا التفسير خير تطبيق عملي لقواعد البلاغة العربية على آيات القرآن الكريم"(١)، كما كان لابن عاشور اهتمام بالمسائل النحوية والصرفية.

واهتم الشيخ ابن عاشور أيضاً بأسباب النزول، فقد أفرد له المقدمة الخامسة من تفسيره، ومما ذكره في بيان أهمية أسباب النزول قوله: "إن من أسباب النزول ما ليس المفسر بغنى عن علمه؛ لأن فيها بياناً مجملاً أو إيضاحاً خفياً وموجزاً"(٢).

وأما القراءات فقد اعتنى بها ابن عاشور عناية كبيرة، وقد خصص المقدمة السادسة في الحديث عنها، ثم ذكر فوائد تعدد القراءات بقوله: "إن ثبوت اللفظية في قراءة قد يبين المراد من نظيره في القراءة الأخرى أو يثير معنى غيره"(٣).

أما تناوله لقضايا العقيدة في تفسيره، فهو يسير على منهج الأشاعرة، وإن كان يختلف معهم أحياناً(٤)، كما اهتم أيضاً بالمسائل الفقهية؛ إذ يعد من علماء الفقه المالكي، ولم يكن متعصباً لمذهبه.

ويرى ابن عاشور أن علم التفسير هو وسيلة لاستنباط الأحكام الفقهية والشرعية، كما أشار إلى ذلك في المقدمة الرابعة لتفسيره(٥).

وبالنسبة لقصص القرآن، فقد عني بها ابن عاشور، فخصها في المقدمة السابعة، إذ يرى أن الأخبار المقصوصة في القرآن أتت لاستلهام العبر واستخلاص المواعظ، يقول الشيخ ابن عاشور في مطلع المقدمة: أمان الله على رسوله ﷺ بقوله: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾(٦).

(١) التقريب لتفسير التحرير والتنوير، (١ / ٦٣)
(٢) تفسير التحرير والتنوير، (١ / ٤٧).
(٣) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور وزهرة التفاسير لأبي زهرة، دراسة مقارنة (١٦ – ٢٠ / ٤١).
(٤) التقريب لتفسير التحرير والتنوير، (١ / ٤٠).
(٥) تفسير التحرير والتنوير، (١ / ٤٠).
(٦) سورة يوسف: الآية: ٣.

وعرف القصة بأنها: الخبر عن حادثة غائبة عن المخبر بها، فليس ما في القرآن من ذكر الأحوال الحاضرة في زمن نزوله قصصاً، مثل ذكر وقائع المسلمين مع عدوهم، وجمع القصة قصص بكسر القاف(١).

المطلب الثالث: مصادره في التفسير

اعتمد ابن عاشور في تفسيره على مصادر متنوعة في أبحاثها العلمية ومختلفة في مشارب أصحابها الفكرية والعقدية، فكانت مصادره في مجملها تزيد على أربع مئة وخمسين مصدراً(٢).

أ: التفاسير التي اعتمد عليها ابن عاشور في تفسيره

من أهم التفاسير التي اعتمد عليها ابن عاشور في تفسيره: تفسير جامع البيان لابن جرير الطبري(٣)، تفسير الكشاف للزمخشري(٤) وتفسير مفاتيح الغيب للرازي(٥)، وتفسير المحرر الوجيز لابن عطية(٦)،

---

(١) تفسير التحرير والتنوير، (١ / ٦٤).

(٢) تفسير التحرير والتنوير دراسة منهجية ونقدية، ص٩٥.

(٣) هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري، ولد سنة ٢٢٤هـ، وهو الإمام، العلم، المجتهد، عالم العصر، أبو جعفر الطبري، صاحب التصانيف البديعة، من أهل أمل بطبرستان، كان كثير الترحال، له من المؤلفات(أخبار الرسل والملوك) وهو ما يعرف بتاريخ الطبري، و (جامع البيان في تفسير القرآن)، توفي سنة ٣١٠هـ، سير أعلام النبلاء، (١٤ / ٢٦٧)، والأعلام للزركلي (٦ / ٦٩).

(٤) وهو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الزمخشري، ولد سنة ٤٦٧هـ، ويعد كبير المعتزلة، له عدة مؤلفات، منها: الكشاف في تفسير القرآن، وأساس البلاغة، توفي سنة ٥٣٨هـ، سير أعلام النبلاء (٢٠ / ١٥١)، والأعلام للزركلي (٧ / ١٧٨).

(٥) هو محمد بن عمر بن الحسن الإمام فخر الدين الرازي بن خطيب، ولد سنة ٥٤٤هـ، له عدة مؤلفات منها: مفاتيح الغيب، ومعالم أصول الدين، توفي سنة ٦٠٦هـ، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٨ / ٨١)، والأعلام للزركلي (٦ / ٣١٣).

(٦) هو عبد الحق بن أبي بكر، أبو محمد بن غالب بن عطية المحاربي الغرناطي، ولد سنة=

وتفسير أنوار التنزيل، وأسرار التأويل للبيضاوي(١)، وأنوار الحقائق الربانية في تفسير الآيات القرآنية للأصفهاني(٢)، وتفسير ابن عرفة(٣) وتفسير جامع أحكام القرآن للقرطبي(٤)، وتفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود(٥)، وتفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي(٦)، وتفسير القرآن لمحمد عبده، وحاشية التفتازاني، والقزويني، والطبي،

= ٤٨١هـ، ويعتبر ابن عطية مفسر وفقيه أندلسي، من مؤلفاته: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، توفي سنة ٥٤٢هـ، سير أعلام النبلاء (١٩ / ٥٨٧)، والأعلام للزركلي (٣ / ٢٨٢).

(١) هو عبد الله بن عمر بن محمد بن علي أبو الخير القاضي ناصر الدين البيضاوي، قاضٍ ومفسر، له عدة مؤلفات منها: أنوار النزيل وأسرار التأويل وهو ما يعرف بتفسير البيضاوي، ومناهج الوصول إلى علم الأصول، توفي سنة ٦٨٥هـ طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٨ / ١٥٧)، والأعلام للزركلي (٤ / ١١٠)

(٢) هو محمود بن عبد الرحمن (أبي القاسم) بن أحمد بن محمد، أبو الثناء شمس الدين الأصفهاني، أو الأصبهاني، ولد سنة ٦٧٤هـ، كان مفسراً وعالماً بالعقليات، توفي سنة ٧٤٩هـ، الأعلام للزركلي (٧ / ١٧٦).

(٣) هو محمد بن محمد بن عرفة الورغمي، أبو عبد الله ولد سنة ٧١٦هـ، ويعد إمام تونس وعالمها وخطيبها في عصره، توفي سنة ٨٠٣هـ، الأعلام للزركلي (٧ / ٤٣).

(٤) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله القرطبي، من كبار المفسرين، صالح متعبد من أهل قرطبة من كتبه الجامع لأحكام القرآن، توفي سنة ٦٧١هـ، الأعلام للزركلي (٥ / ٣٢٢).

(٥) هو محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، المشتهر بكنية (أبو السعود) ولد سنة ٨٩٨هـ، مفسر وشاعر من علماء الترك المستعربين، وكان حاضر الذهن سريع البديهة، وهو صاحب التفسير المعروف باسمه، وقد سماه إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ومن كتبه: تحفة الطلاب في المناظرة، ورسالة المسح على الخفين، ورسالة في مسائل الوقوف، توفي سنة ١٩٨٢هـ، الأعلام للزركلي، (٧ / ٥٩).

(٦) هو محمود بن عبد الله الألوسي، ولد سنة ٢١٧هـ، والذي يعرف بالألوسي الكبير، يكنى=

والقطب، على تفسير الكشاف وحاشية الخافجي على تفسير البيضاوي، وتفسير أبي السعود[1].

كما اعتمد على أحكام القرآن للجصاص، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير، وأحكام القرآن لابن العربي المالكي، والكشف والبيان للثعلبي.

ب: مصادره في علوم القرآن وأسباب النزول:

اعتمد في علوم القرآن على الإتقان للسيوطي، وأما في أسباب النزول؛ فقد اعتمد على كتاب أسباب النزول للواحدي[2].

كما اعتمد أيضاً على شرح لمعة الأدلة للإمام الجويني، وشرح الأسماء لابن برجان الإشبيلي، والتسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي.

ج: مصادره في الأحاديث النبوية الواردة في التفسير

صحيح البخاري ومسلم.

الموطأ للإمام مالك.

سنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة.

مسند الإمام أحمد.

شعب الإيمان للبيهقي.

سنن الدار قطني.

= بأبي الثناء، ويعد ابن العلم وأبوه، وعم الأدب وأخوه، وله من المكانة الرفيعة والمقام المحمود ما يغني عن الإشادة بذكره والإطالة في إطرائه، له من المؤلفات: تفسير روح المعاني، ونشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول، توفي سنة ١٢٧٠هـ، الأعلام للزركلي (٧ / ١٧٦)، وأعلام العراق لمحمد بهجة الأثربي ص٢١.

(١) شيخ الجامع الأعظم حياته وآثاره، ص ٧٨.

(٢) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، وزهرة التفاسير لأبي زهرة دراسة مقارنة (١٦ – ٢٠ / ٤٦).

وكذلك اعتمد على كتب الحديث لابن مردويه، والبزار، وعبد بن حميد، والديلمي، وابن مندة، وأبي نعيم الأصبهاني، وابن عساكر، وأبي بكر الآجري، وابن حيان.

ومن كتب شروح الأحاديث؛ فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، والعيني في شرح صحيح البخاري، والمعلم على صحيح مسلم، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي لأبي يعلى محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، والمستدرك على الصحيحين لمحمد بن عبد الله الحاكم(١).

هـ: مصادره في الفقه والعقيدة الواردة في تفسيره

اعتمد الشيخ في استشهاداته الفقهية على كتاب بداية المجتهد ونهاية المقتصد في الفقه لابن رشد، والمحلى لابن حزم، ورسائل الشافعي، ورسائل ابن تيمية، وأنوار البروق في أنواء الفروق للقرافي، والبيان والتحصيل لابن رشد، والموافقات للشاطبي، وشرح الهداية للمرغيناني.

أما بالنسبة للعقيدة فقد اعتمد ابن عاشور على كتاب إحياء علوم الدين الغزالي (شرح المقاصد لسعد الدين التفتازاني) ، (العواصم من القواصم لابن العربي)، وشرح ديباجة هياكل النور لجلال الدواني(٢).

و: مصادره في اللغة والنحو الواردة في تفسيره:

اعتمد الشيخ ابن عاشور على القاموس المحيط للفيروز آبادي، ولسان العرب لابن منظور، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، وأساس البلاغة للزمخشري، وشرح درة الغواص للحريري، وشرح الحماسة للمرزوقي، ومفتاح

---

(١) صقر، نبيل أحمد منهج الإمام الطاهر بن عاشور في التفسير، القاهرة، الدار المصرية، ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، ص ٢١.

(٢) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، وزهرة التفاسير لأبي زهرة من الأجزاء، دراسة مقارنة، (١٦ – ٢٠ / ٤٩).

العلوم للسكاكي، ودلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة، لعبد القاهر الجرجاني، وإعجاز القرآن للباقلاني(١).

مصادر متفرقة:

اعتمد ابن عاشور أيضاً في تفسيره على مصادر أخرى متفرقة بخلاف ما سبق ذكره منها:

١- كتب التصوف، ككتب الإمام الغزالي وحكمه الإشراق وهياكل النور للسهرردي، وسراج المريدين في سبيل الدين لأبي بكر بن العربي.

٢- في الفلسفة: اعتمد على كتاب الإشارات لابن سينا.

٣- في الأديان: اعتمد على الكتاب المقدس العهد القديم والعهد الجديد.

٤- في علم الاجتماع: اعتمد على مقدمة ابن خلدون.

واعتمد كذلك على كتب التاريخ والسير والتراجم.

---

(١) الاختيارات العلمية، ص ١١٨.

المبحث الثالث

الخوارج من خلال تفسير التحرير والتنوير

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالخوارج ونشأتهم وآرائهم الاعتقادية

وفيه فرعان:

الفرع الأول: تعريف الخوارج ونشأتهم

أولاً: التعريف بالخوارج في اللغة والاصطلاح:

أ- **تعريف الخوارج في اللغة:** الخوارج جمع خارج، وخارجي اسم مشتق من الخروج، هو يطلق على عدة معانٍ في اللغة، منها: أنه يأتي بمعنى يوم القيامة، قال أبو عبيدة في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾(١).

الخروج اسم من أسماء يوم القيامة، ويأتي بمعنى الإصحاء، فيقال: خرجت السماء خروجاً إذا أصحت، بعد إغامتها، والخروج نقيض الدخول(٢) وكذلك يطلق على يوم العيد، قال ذو الرمة:

وعيطا كأسراب الخروج تشوفت ... معاصرها والعاتقات العوانس(٣)

---

(١) سورة ق: الآية: ٤٢.

(٢) الأزهري محمد بن أحمد تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م، مادة خرج، (٧ / ٢٦).

(٣) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو، أساس البلاغة، محمد باسل عيون السود، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، مادة خرج، (١ / ٢٣٧).

أما لفظ الخوارج في اللغة؛ فيطلق على أهل الأهواء والآراء، قال الأزهري: "الخوارج قوم من أهل الأهواء لهم مقالة على حدة"(١)، وعلى هذا النحو عرفه ابن منظور(٢)، والفيروز آبادي، وأن سبب تسميتهم هو خروجهم على الناس(٣).

أما الزبيدي، فقد عرفهم بأنهم: الحرورية والخارجية طائفة منهم وهم سبع طوائف سموا بها، لخروجهم على الناس أو عن الدين أو الحق أو على علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بعد صفين(٤).

ب- تعريف الخوارج في الاصطلاح:

عُرفت فرقة الخوارج عند علماء الفرق قديماً وحديثاً بعدة تعريفات، نذكر منها:

١: عرف الشهرستاني الخوارج قائلاً: "كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان"(٥).

٢: وأما الأشعري فقد عرفهم بأنهم: "الطائفة التي خرجت على الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وإن خروجهم هذا كان سبباً لتسميتهم بهذا الاسم حيث قال: "والسبب الذي سموا له خوارج خروجهم على علي بن أبي طالب"(٦).

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري (٧ / ٢٧).

(٢) لسان العرب، مادة خرج، (٢ / ٢٥١).

(٣) الفيروز آبادي، مجد الدين القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، بيروت مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ط٨، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، (١ / ١٨٦).

(٤) تاج العروس، (٥ / ٥١٧).

(٥) الملل والنحل للشهرستاني، ص ١٠٥.

(٦) مقالات الإسلاميين (١ / ١١٢).

٣: وعرف الدكتور ناصر العقل الخوارج بأنهم: "هم الذين يكفرون بالمعاصي ويخرجون على أئمة المسلمين وجماعتهم"(١).

ومن خلال التعريفات السابقة نجد أن هناك تفاوتاً ملحوظاً بين العلماء في تعريفهم للخوارج، فمن العلماء من أطلق التعريف بالخوارج وجعله عاماً؛ فكل من خرج على الإمام الذي اجتمعت الأمة عليه في كل زمان يعد خارجياً كما وجدناه في تعريف الشهرستاني.

ومنهم من قيده بحقبة زمنية معينة، كما وجدناه في تعريف الأشعري، ومنهم من عرفهم بأهم ما تميزوا به قديماً وحديثاً كما وجدناه في تعريف ناصر العقل.

ثانياً: نشأة الخوارج

اختلف العلماء في نشأة الخوارج متى كانت، هل كانت في عهد النبي ﷺ، أم في عهد عثمان بن عفان ﷺ، أم في عهد علي بن أبي طالب ﷺ، وسنعرض أقوال العلماء واختيار ما هو مناسب وترجيحه.

الرأي الأول: أن الخوارج نشأت في العهد النبوي:

من العلماء من يرى أن أول الخوارج ذو الخويصرة الذي بدأ الخروج بالاعتراض على النبي ﷺ، في قسمة الفيء، واتهامه إياه بعدم العدل، فعن أبي سعيد قال: بينما النبي ﷺ يقسم جاء عبد الله بن ذي الخويصرة التميمي، فقال: اعدل يا رسول الله، فقال: «ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل»، قال عمر بن الخطاب: دعني أضرب عنقه، قال: «دعه فإن له أصحاباً، يحقر أحدكم صلاته مع صلاته، وصيامه مع صيامه، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية،

(١) العقل؛ ناصر بن عبد الكريم، الخوارج أول الفرق في تاريخ المسلمين الرياض، دار اشبيليا، ط١، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، ص ٢١.

ينظر في قذذه [١] فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر في نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر في رصافه [٢] فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر في نضبه [٣] فلا يوجد فيه شيء، قد سبق الفرث والدم، آيتهم رجل إحدى يديه، أو قال: ثدييه، مثل ثدي المرأة، أو قال: مثل البضعة تدردر [٤] يخرجون على حين فرقة من الناس»، قال أبو سعيد: اشهد سمعت من النبي ﷺ، وأشهد أن علياً قتلهم وأنا معه، جيء بالرجل على النعت الذي نعته النبي ﷺ، قال: فنزلت فيه ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾[٥] [٦].

ومن العلماء الذين ذهبوا إلى أن ذا الخويصرة أول الخوارج الإمام ابن الجوزي رحمه الله، حيث قال: أول الخوارج وأقبحهم حالاً ذو الخويصرة، وقوله: "هذا أول خارجي خرج في الإسلام وآفته أنه رضي برأي نفسه، ولو وقف لعلم أنه لا رأي فوق رأي النبي ﷺ، وأتباع هذا الرجل هم الذين قاتلوا علياً كرم الله وجهه[٧].

---

(١) قال أبو عبيد: القذذ، ريش السهم كل واحد منها فذة، تهذيب اللغة (٨ / ٢٢٢).
(٢) العقبة التي تلوي فوق رعط السهم إذا انكسر، لسان العرب (٩ / ١٢٠).
(٣) نصل السهم، وقيل هو السهم قبل أن ينحت، وسمي نضي لكثرة البري والنحت، لسان العرب (١٥ / ٣٣١).
(٤) أي تمرمر وترجرج تهذيب اللغة (١٤ / ٤٥).
(٥) سورة التوبة: الآية: ٥٨.
(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب: من ترك قتال الخوارج للتألف وأن لا ينفر الناس عنه، (٩ / ١٧)، ح (٦٩٣٣).
(٧) ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي، تلبيس إبليس، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م، ص٨٢.

ومنهم الشهرستاني الذي قال: "وهم الذين أولهم ذو الخويصرة، وآخرهم ذو الثدية"(١)، وعد اعتراض ذي الخويصرة خروجاً صريحاً، وذلك خروج صريح على النبي عليه الصلاة والسلام، ولو صار من اعتراض على الإمام الحق خارجياً، فمن اعترض على الرسول أحق بأن يكون خارجياً.

ويرى الآجري أن أول الخوارج كان في عهد النبي ﷺ، ثم أنهم بعد ذلك خرجوا من بلدان شتى، واجتمعوا وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى قدموا المدينة فقتلوا عثمان، ثم خرجوا بعد ذلك على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه(٢).

الرأي الثاني: أن الخوارج نشأت في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه:

وهناك فرق آخر من لعلماء الذين يرى أن نشأة الخوارج كانت في عهد الخليفة الثالث ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه، ومنهم: ابن أبي العز الحنفي شارح الطحاوية، حيث يقول: "فالخوارج والشيعة حدثوا في الفتنة الأولى"(٣).

ومنهم أيضاً الإمام ابن كثير الذي سمى الذين ثاروا على عثمان وقتلوه بالخوارج فيقول: "وجاء الخوارج فأخذوا مال بيت المال وكان فيه شيء كثير جداً"(٤).

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني، ص ١٠٨.

(٢) الآجري، محمد بن الحسين، الشريعة، تحقيق الوليد بن محمد نبيه يسيف الناصر، (دم)، مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م، (١ / ١٣٨).

(٣) ابن أبي العز الحنفي؛ صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عبد الله بن عبد المحسن التركي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م، (٢ / ٧٩٩).

(٤) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، (دم)، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، (٧ / ٢١١).

الرأي الثالث: أن الخوارج نشأت في عهد علي بن أبي طالب ﵁.

وهناك فريق ثالث من العلماء يرى أن نشأتهم بدأت بانفصالهم عن جيش الإمام علي والخروج عليه، وعلى هذا الرأي الغالبية العظمى من العلماء، ومن هؤلاء الأشعري الذي قال:"والسبب الذي له سموا خوارج خروجهم على الإمام علي بن أبي طالب"[(١)]، وقد تابعه في طريقته البغدادي حيث بدأ تاريخ الخوارج بذكر الخارجين على علي بن أبي طالب ﵁[(٢)]، وقد صار على هذا الرأي أصحاب المعاجم ودوائر المعارف في مادة الخروج، والعلماء والمفكرون المعاصرون الذين كتبوا عن الفرق كأحمد أمين والشيخ أبي زهرة، يقول الشيخ أبو زهرة: "اقترن ظهور هذه الفرقة بظهور الشيعة، فقد ظهر كلاهما كفرقة في عهد علي بن أبي طالب، وقد كانوا من أنصاره[(٣)]، وقال الأستاذ أحمد أمين: "واسم الخوارج جاء من أنهم خرجوا على علي وصحبه"[(٤)].

والذي أراه وأذهب إليه أن نشأة الخوارج كانت في عهد عثمان بن عفان ﵁، والذين خرجوا على علي هم أولئك الذين خرجوا على عثمان، وهم الذين اعترفوا بذلك عندما رفع جيش الشام المصاحف فقالوا: "يا علي، أجب إلى كتاب الله ﷻ، إذا دعيت إليه وإلا دفعناك برمتك إلى القوم أو نفعل بك ما فعلناه بابن عفان"[(٥)]، والذي يؤكد ما نقول: إن بعض الأسماء التي شاركت في قتل عثمان

---

(١) مقالات الإسلاميين، (١ / ١١٢).

(٢) الفرق بين الفرق، البغدادي عبد القاهر بن طاهر بن محمد، الفرق بين الفرق، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط٢، ١٩٧٧، (١ / ١١).

(٣) تاريخ المذاهب الإسلامية، ص ٥٦.

(٤) أمين أحمد، فجر الإسلام، بيروت، دار الكتاب العربي، ط١، ١٩٦٩م، ص٢٥٧.

(٥) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م، (٢ / ٦٦٨).

هي التي شاركت في الخروج على علي وقتاله، ومن هذه الأسماء: زهير بن حرقوص السعدي، وحكيم بن جبلة، وزياد بن النضر الحارثي.

المطلب الثاني: آراء الخوارج الاعتقادية

لم يكن للخوارج آراء اعتقادية التفوا حولها وقرروها بداية أمرهم، بل كانت لهم شعارات تحمسوا لها وقاتلوا في سبيل تحقيقها، ومن خلال ممارستهم لهذه الشعارات تكونت لديهم الآراء الاعتقادية التي أثاروها وكانوا طرفاً فيها، وهي على النحو الآتي:

الفرع الأول: الإيمان عند الخوارج

عرف الخوارج الإيمان بأنه: المعرفة بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بكل ما جاء به الشرع، فلا إيمان لأحد عندهم لا يتحقق فيه القول والعمل بأوامر الشرع ونواهيه[1]، يقول ابن حزم "ذهب سائر الفقهاء وأصحاب الحديث والمعتزل والشيعة وجميع الخوارج إلى أن الإيمان هو المعرفة بالقلب بالدين، والإقرار به باللسان، والعمل بالجوارح"، ويثبت ابن حزم أيضاً أن الخوارج يقولون بذهاب الإيمان بإضاعة الأعمال[2].

فالإيمان عند الخوارج ليس مقتصراً على الاعتقاد وحده، فمن اعتقد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ولم يأتِ بشيء من أوامر الدين من صيام وصلاة وحج وغيرها من فرائض الدين وارتكب الكبائر فهو كافر، وكذلك الإيمان عندهم لا يزيد ولا ينقص، إما أن يبقى كله أو يذهب كله، يقول شيخ الإسلام بن تيمية: "إن الخوارج ترى أن الإيمان المطلق يتناول جميع ما أمر الله به ورسوله، فمتى ذهب بعض ذلك بطل الإيمان فيلزم تكفير أهل الذنوب أو تخليدهم في

---

(١) الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها، ص ٣١٥.
(٢) الملل والنحل لابن حزم (٣ / ١٠٦).

النار"(١)، وتقرر الخوارج أن من زل زلة فقد مرق من الإسلام ولا يجدد إيمانه إلا بتوبة علنية وردة قوية للإسلام، وامتحان الإيمان أمر مقرر لا يقتصر على امتحان المرء إيمان نفسه، بل يتجه إلى امتحان إيمان الآخرين(٢).

الفرع الثاني: التكفير عند الخوارج

أجمعت الخوارج على تكفير مرتكب الكبيرة، قال الأشعري: "وأجمعوا على أن كل كبيرة كفر إلا النجدات(٣)، فإنها لا تقول بذلك"(٤).

فقد "أجمعت الأزارقة (٥) على أن من ارتكب كبيرة من الكبائر كفر كفر ملة، خرج به عن الإسلام جملة، ويكون مخلداً في النار مع سائر الكفار، واستدلوا بكفر إبليس، وقالوا: ما ارتكب إلا كبيرة حيث أمره بالسجود لآدم عليه السلام فامتنع، وإلا فهو عارف بوحدانية الله تعالى"(٦).

---

(١) علم الكلام ومدارسه، ص١٢٧.

(٢) مقالات الإسلاميين، (١/١٠٣).

(٣) أصحاب نجدة بن عامر الحنفي والذين يعرفون بالنجدات، ومن أهم مبادئهم: استحلالهم دماء أهل الذمة والعهد وأموالهم في حال التقية، أجازوا في القول والعمل لقوله تعالى: {إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً} [آل عمران: ٢٨] ، ويرون الاجتهاد في الدين ولا يرون تكفير مرتكب الكبيرة، الملل والنحل للشهرستاني، ص ١١٦.

(٤) مقالات الإسلاميين، (١ / ٨٤)

(٥) هم أتباع نافع بن الأزرق الحنفي المكنى بأبي رشيد، من أهم مبادئهم: تكفير عثمان في آخر أيامه، وتكفير علي وطلحة والزبير وعائشة، وابن عباس، ومن خالف رأيهم، وعدوا دار المسلمين دار حرب يجوز فيها قتل النساء والأطفال، ولا تؤكل ذبائحهم ولا يجوز التزوج منهم، أظهروا البراءة من القعدة عن قتال الخوارج، وكانوا لا يجيزون التقية في القول والعمل، أقروا بأن جميع مخالفيهم من المسلمين مع أطفالهم في نار جهنم، نشأة الفرق الإسلامية، ص ٤٥.

(٦) الملل والنحل للشهرستاني، ص ١١٦.

ولم يكن الأزارقة أول من قال بذلك وإنما هو قول المحكمة الأولى: "وكان دينهم إكفار علي وعثمان وأصحاب الجمل، ومعاوية وأصحابه والحكمين، ومن رضي بالتحكيم، وإكفار كل ذي ذنب ومعصية[(١)].

وقد وافق الأزارقة في قولهم كثير من فرق الخوارج، فالعجاردة يكفرون بالكبائر، بل قد غالى بعض الفرق في ذلك؛ فأخذ يكفر على كل ذنب سواء كان صغيراً أم كبيراً كاليزيدية أصحاب يزيد بن أبي أنيسة، وقال: "إن أصحاب الحدود من موافقيه وغيرهم كفار مشركون، وكل ذنب صغير أو كبير فهو شرك"[(٢)].

ومن تناقضات بعض فرق الخوارج في حكمهم على مرتكب الكبيرة أنه إذا كان الواقع في الكبيرة منهم ومن مؤيديهم فلا يحكمون بكفره، وأما إذا كان من مخالفيهم فإنهم يكفرونه، يقول البغدادي: "ومن بدع نجدة أيضاً أنه تولى أصحاب الحدود من موافقيه وقال: لعل الله يعذبهم بذنوبهم في غير نار جهنم ثم يدخلهم الجنة، وزعم أن النار يدخلها من خالفه في دينه"[(٣)]، وقد فرقوا بين الإصرار وعدمه، فالمصر على الذنب ولو كان صغيراً فهو مشرك، وغير المصر على الذنب ولو ارتكب كبيرة فهو غير مشرك، والذي ذهب إلى هذا القول نجدة، حيث قال: "ومن نظر نظرة، أو كذب كذبة صغيرة أو كبيرة وأصر عليها فهو مشرك ومن زنى، وشرب، وسرق غير مصر عليه فهو غير مشرك[(٤)]، وكذلك من التناقضات التي وقعت فيها بعض فرق الخوارج في حكمها على مرتكب الكبيرة لا من حيث ارتكابه للكبيرة؛ بل لجهله لله تعالى كالمكرمية،

---

(١) الفرق بين الفرق، ص٦١.
(٢) الملل والنحل للشهرستاني، ص ١٣٣.
(٣) الفرق بين الفرق، (١ / ٦٨).
(٤) الملل والنحل للشهرستاني، ص ١١٨.

حيث زعموا أن تارك الصلاة كافر وليس هو من قبل تركه الصلاة كفر، ولكن من قبل جهله بالله، وكذلك قالوا في سائر الكبائر، وزعموا أن من أتى كبيرة فقد جهل الله سبحانه، وبتلك الجهالة كفر لا بركوبه المعصية(١).

ومن الخوارج الذي حكموا على أهل الكبائر أنهم كفار كفر نعمة الإباضية(٢)، حيث قالوا: "إن كان الذنب من الكبائر فهو كافر نعمة تحل موارثته، ومناكحته، وأكل ذبيحته، وليس مؤمناً ولا كافراً على الإطلاق(٣)، وكذلك يقولون: "إن جميع ما افترض الله سبحانه على خلقه إيمان، وأن كل كبيرة فهي كفر نعمة لا كفر شرك، وأن مرتكبي الكبائر في النار خالدين مخلدون فيها(٤).

الفرع الثالث: الإمامة عند الخوارج

قال ابن حزم: "اتفق جميع أهل السنة وجميع المرجئة وجميع الشيعة، وجميع الخوارج على وجوب الإمامة، وأن الأمة واجب عليها الانقياد لإمام عادل يقيم فيهم أحكام الله، ويسوسهم بأحكام الشريعة التي أتى بها الرسول ﷺ حاشا النجدات من الخوارج(٥). ولم يخالف فرق الخوارج في تعيين الإمام إلا النجدات، حيث قالوا بعدم وجوب تعيين إمام وأنهم لا يحتاجون إليه، وإنما عليهم أن يجعلوا

(١) مقالات الإسلاميين ص ٩٤.

(٢) هم أتباع عبد الله بن إباض التميمي، عاش في النصف الثاني من القرن الأول الهجري، من أهم مبادئهم، إن مخالفيهم لقيسوا مشركين ولا مؤمنين حقاً ولكنهم كفار نعمة، دماء مخالفيهم حرام في السر لا العلانية، ودارهم دار توحيد، لا يحل في الحرب من غنائم مخالفيهم إلا السلاح والخيل، لا يجوز قتال مخالفيهم إلا بعد الدعوة وإقامة الحجة عليهم، أجازوا شهادة مخالفيهم، ومناكحتهم، وأكل ذبائحهم، وموارثتهم، وأن مرتكب الكبيرة كافر كفر نعمة لا ملة، نشأة الفرق الإسلامية، ص ٥٦.

(٣) الملل والنحل لابن حزم، (٣ / ١٢٨).

(٤) مقالات الإسلاميين، ص ١٠٠.

(٥) الملل والنحل لابن حزم، (٤ / ٧٢).

كتاب الله جل وعلا بينهم، وقد شذت بعض فرق الخوارج وأرادوا كلاماً حول تعدد الأئمة، فقالت الحمزية: "وجوز حمزة إمامين في عصر واحد ما لم تجتمع الكلمة ولم تقهر الأعداء"(١)، وكذلك الشبيبية أتباع شبيب بن يزيد الخارجي أجازوا إمامة المرأة إذا قامت بأمورهم وخرجت على مخالفيهم(٢).

والإمامة الحقيقية هي التي لا ينتسب إليها إلا المسلمون الصالحون سواء كانوا من الطبقة العليا أو الطبقة الدنيا عرباً أو موالي، والمكانة العليا هي للأتقى، وأن الإمامة أمر ضروري، وأن يكون الإمام ورعاً تقياً زاهداً عادلاً(٣)، وإذا لم تتوفر فيه هذه الشروط فإنهم يرون تكفيره والخروج عليه، وإذا تساوى أئمة الخوارج في الفضل فإنهم يقولون: "وإنما ينبغي أن يلي على المسلمين إذا كانوا سواء في الفضل أبصرهم بالحرب، وأفقههم في الدين، وأشدهم اضطلاعاً بما حمل(٤)

الفرع الرابع: رؤية الله عند الخوارج

ذهب الخوارج إلى استحالة رؤية الله تزيلها له بزعمهم، يقول الإمام النووي: "زعمت طائفة من أهل البدع المعتزلة والخوارج وبعض المرجئة أن الله تعالى لا يراه أحد من خلقه، وأن رؤيته مستحيلة عقلاً"(٥).

وقال ابن أبي العز: "من المخالفين في الرؤية الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج والإمامية"(٦).

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني، ص ١٢٥.

(٢) الفرق بين الفرق، ص ٨٩.

(٣) علم الكلام ومدارسة ص ١٢٥، بتصرف يسير.

(٤) تاريخ الطبري (٥ / ١٧٥).

(٥) النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، شرح النووي على مسلم، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٣٩٢هـ، (٢ / ١٥).

(٦) العقيدة الطحاوية، ص ٢٠٧.

المطلب الثاني

آراء الخوارج الاعتقادية من خلال تفسير التحرير والتنوير

وفيه خمسة فروع:

الفرع الأول: الإيمان عند الخوارج في التفسير

أولاً: تعريف الإيمان عند ابن عاشور في التفسير:

عرف ابن عاشور الإيمان بأنه: الاعتقاد الجازم بثبوت ما يعلم أنه من الدين علماً ضرورياً بحيث يكون ثابتاً بدليل قطعي عند جميع أئمة الدين، ويشتهر كونه من مقومات الاعتقاد الإسلامي اللازم لكل مسلم اشتهار بين الخاصة من علماء الدين والعامة من المسلمين بحيث لا نزاع فيه[١].

ثانياً: ماهية الإيمان وعلاقته بالعمل عند الخوارج في التفسير:

ثم بعد تعريف ابن عاشور للإيمان أخذ يستعرض تعريف الإيمان عند الفرق الإسلامية، ومن هذه الفرق الخوارج، حيث ذكر تعريفهم له بأنه اعتقاد ونطق وعمل، وأرادوا من قولهم حقيقة ظاهرة من تركب الإيمان من مجموع الثلاثة؛ بحيث إذا اختل واحد منها بطل الإيمان، ولهم في تقرير بطلانه بنقص الأعمال الواجبة مذاهب غير منتظمة ولا معضودة بأدلة سوى التعليق بظواهر بعض الآثار، مع الإهمال لما يعارضها من مثلها.

ونجم عن هذا التوجه الخارجي قول الخوارج: إن تارك شيء من الأعمال كافر غير مؤمن وهو خالد في النار؛ فالأعمال جزء من الإيمان حتى توهمت الخوارج أن العمل الصالح شرط في قبول الإيمان، وأرادوا من الأعمال فعل الواجبات وترك المحرمات ولو كانت صغائر، إذ جميع الذنوب عندهم كبائر، وأما غير ذلك من الأعمال كالمندوبات والمستحبات؛ فلا يوجب تركها خلوداً[٢].

---

(١) تفسير التحرير والتنوير، (١ / ٢٦٦)

(٢) المصدر السابق، (١/ ٢٦٨)

ويرى ابن عاشور أنه لا يقول مسلم إن ترك السنن والمندوبات يوجب الكفر والخلود في النار وكذلك فعل المكروهات.

ثم ذكر بعد ذلك مقولة الإباضية بقوله: وقالت الإباضية من الخوارج إن تارك بعض الواجبات كافر لكن كفره كفر نعمة لا شرك، نقله إمام الحرمين[(١)] عنهم وهو الذي سمعه ابن عاشور من طلبتهم[(٢)].

واستدل الخوارج على أن المعصية تبطل الإيمان بقوله تعالى: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[(٣)]، وقد رد ابن عاشور عليهم بقوله: إن المراد بالكافرين ظاهراً المشركون، وهذا من بدائع بلاغة القرآن.

وبعد عرض ابن عاشور لأقوال الخوارج في الإيمان، أخذ ابن عاشور يتعجب من هذه الأقوال بقوله: ولا عجب أعجب من مرور الأزمان على مثل مقولة الخوارج والإباضية، ولا ينبري من حذاق علمائهم من يهذب المراد أو يؤول قول قدماته ذلك التأويل المعتاد، وكأني بوميض فطنة نبهائهم أخذ يلوح من خلال الرماد[(٤)]

وبالنسبة لآيات العفو والمغفرة، يذكر ابن عاشور أن الخوارج لا ترى الاستدلال بها لأن المعصية تسلب الإيمان.

---

(١) هو عبد الملك ابن الإمام أبي محمد عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيويه، الجويني الشافعي يكنى بأبي المعالي، ولد سنة ٤١٩هـ، صاحب التصانيف، له عدة مؤلفات منها: (الشامل في أصول الدين، البرهان في أصول الفقه، الرسالة النظامية، مدارك العقول)، توفي رحمه الله سنة ٤٢٧هـ، سير أعلام النبلاء للزركلي ٤/ ١٦٠، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٥ / ١٦٥.

(٢) تفسير التحرير والتنوير ، ١ / ٢٦٨.

(٣) سورة البقرة: الآية: ٢٥٤.

(٤) تفسير التحرير والتنوير، ١ / ٢٧٤.

ورد ابن عاشور على هذه المقولة بقوله: إن ابن عباس رضي الله عنه احتج على الخوارج بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[(١)]، التي دلت على أن المعصية لا تزيل الإيمان، لأن الله سمى القاتل أخاً لولي الدم وتلك أخوة الإسلام مع كون القاتل عاصياً[(٢)].

الفرع الثاني: مرتكب الكبيرة والحكم عليه عند الخوارج

أولاً: تعريف الكبيرة عند ابن عاشور في التفسير:

عرف ابن عاشور الكبيرة بأنها: ما شدد الدين في التحذير منه، أو ذكر له وعيداً بالعذاب، أو صف على فاعله حداً[(٣)].

ثانياً: مرتكب الكبيرة عند الخوارج في التفسير:

ذهب ابن عاشور إلى أن طائفة من الخوارج لا تفرق بين المعاصي والكبائر والصغائر؛ مما ترتب على ذلك تكفير مرتكب الكبيرة عندهم خلافاً لجمهور علماء الإسلام، فمن العجائب أن يقول قائل: إن الله لم يميز الكبائر عن الصغائر ليكون ذلك زاجراً عن الإقدام على كل ذنب[(٤)].

ويذكر ابن عاشور أنه كما لا يجوز حمل كلمات القرآن على خصوصيات جزئية؛ لأن ذلك يبطل مراد الله، كذلك لا يجوز تعميم ما قصد منه الخصوص، ولا إطلاق ما قصد منه التقييد؛ لأن ذلك قد يفضي إلى التخليط في المراد أو إلى إبطاله من أصله، وقد اغترت بعض الفرق بذلك، حيث استشهد بمقولة ابن

---

(١) سورة البقرة: الآية: ١٧٨.

(٢) تفسير التحرير والتنوير، ٢ / ١٤٢.

(٣) المصدر السابق، ٢٧/ ١٢١.

(٤) المصدر السابق، (٥ / ٢٧).

سيرين(١) في الخوارج، فقال: إنهم عمدوا إلى آيات الوعيد النازلة في المشركين، فوضعوها على المسلمين، فجاءوا ببدعة القول بالتكفير بالذنب، وقد قال الحرورية لعلي ﷺ، يوم التحكيم، ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾(٢)، وقال علي ﷺ: "كلمة حق أريد بها باطل"(٣).

وقد تمسك الخوارج بظاهر قوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾(٤)، وبنظائرها(٥) في قولهم بتكفير مرتكب الكبيرة وقد غفلوا عن تغليظ وعيد الله في وقت نزول القرآن؛ إذ الناس يومئذ قريب عهدهم بكفر، ولابد من الجمع بين أدلة الكتاب والسنة(٦).

إذ الخوارج كما يقول ابن عاشور يتشبثون بظاهر ذلك الإطلاق؛ فيقضون بالكفر على مرتكب الكبائر ولا يلتفتون إلى ما يعارض ذلك من إطلاقات كلام الله ورسوله.

---

(١) هو الإمام محمد بن سيرين البصري الأنصاري مولى أنس بن مالك ﷺ، المكنى بأبي بكر، كان مولده ووفاته بالبصرة، إمام وقته في علوم الدين بالبصرة، تابعي جليل، قال محمد بن جرير الطبري كان ابن سيرين فقيهاً، عالماً، ورعاً، أديباً كثير الحديث، صدوقاً، شهد له أهل العلم والفضل بذلك، توفي سنة ١١٠٠هـ، سير أعلام النبلاء، ٤/ ٦٠٦، والأعلام للزركلي، ٦ / ١٥٤.

(٢) سورة الأنعام: الآية: ٥٧.

(٣) لما سمع قولهم لا حكم إلا لله، قال ﷺ: كلمة حق يراد بها باطل نعم، إنه لا حكم إلا لله، ولكن هؤلاء يقولون لا إمرة إلا لله، وإنه لابد للناس من أمير بر أو فاجر يعمل على إمرته المؤمن ويستمتع فيها الكافر ويبلغ الله فيها الأجل ويجمع به الفيء، ويقاتل به العدو وتأمن به السبل ويؤخذ به للضعيف من القوي؛ حتى يستريح به بر ويستراح من فاجر، وفي رواية أخرى أنه رضي الله عنه لما سمع تحكيمهم قال: حكم الله انتظر فيكم، وقال: أما الإمرة البرة فيعمل فيها التقي، وأما الإمرة الفاجرة فيتمتع فيها الشقي إلى أن تنقطع مدته وتدركه منيته، نهج البلاغة، (١/ ٩١).

(٤) سورة البقرة: الآية: ٢٧٦.

(٥) كقوله تعالى: {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤} [المائدة: ٤٤].

(٦) تفسير التحرير والتنوير، ٣ / ٩١.

قال ابن العربي(١)، (من الكائدين للإسلام الظاهرية والباطنية)(٢)، قال ابن عاشور: أما الباطنية فقد جعلوا معظم القرآن متشابهاً، وتأولوه بحسب أهوائهم، وأما الظاهريون فقد أكثروا في متشابهه، واعتقدوا سبب التشابه واقع فالأولون دخلوا في قوله: وابتغاء تأويليه، والأخيرون خرجوا من قوله: وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم أو وما يعلم تأويله إلا الله، فخالفوا الخلف والسلف(٣)، ثم استشهد ابن عاشور مرة أخرى بمقولة ابن العربي: "في العواصم" بقوله: "وأصل الظاهريين الخوارج الذين قالوا: لا حكم إلا لله"(٤)، يعني أنهم أخذوا بظاهر قوله تعالى: إن الحكم إلا لله ولم يتأولوه بما هو المراد من الحكم.

ومذهب أهل الحق من السلف والخلف أنه لا يكفر أحد من المسلمين بذنب أو ذنوب من الكبائر؛ فقد ارتكبت الذنوب والكبائر في زمان رسول الله ﷺ والخلفاء؛ فلم يعاملوا المجرمين معاملة المرتدين عن الدين والقول بتكفير العصاة خطر على الدين؛ لأنه يؤول إلى انحلال جامعة الإسلام ويهون على المذنب الانسلاخ من الإسلام منشداً "أن الغريق فما خوفي من البلل"(٥).

قال ابن عاشور: فلله مدارك أهل السنة، إذ اهتدوا إلى أن ارتكاب الذنوب لا يُخرج صاحبه حظيرة الإيمان، وأدلة ذلك من السنة تبلغ مبلغ التواتر انتظمت

---

(١) هو العلامة الإمام القاضي، محمد بن عبد الله بن محمد بن العربي الأندلسي المالكي، ولد في إشبيلية سنة ٤٦٨هـ، يكنى بأبي بكر، له العديد من المؤلفات منها: (العواصم من القواصم)، (عارضة الأحوذي في شرح الترمذي)، (أحكام القرآن)، (المسالك على موطأ مالك)، (الناسخ والمنسوخ)، توفي بقاس سنة ٥٤٣هـ، سير أعلام النبلاء، ٢ / ١٩٧، الأعلام للزركلي، ٦ / ٢٣٠.

(٢) ابن العربي القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر المعافري الإشبيلي المالكي، العواصم من القواصم، تحقيق عمار طالبي، دار التراث، مصر، (د.ث)، ح١، ص ٢٠٨.

(٣) تفسير التحرير والتنوير، ٣ / ١٦٤.

(٤) العواصم من القواصم، ١ / ٢٤٩.

(٥) تفسير التحرير والتنوير، ١ / ٣٧٥.

عقوداً وأرهقت مخالفها صعوداً وما أضعف أفهام قوم غرتهم الظواهر بما لها من بريق وفرقهم عن المحجة ما اعترضهم من بينات الطريق، ثم يبين ابن عاشور من هم قائلاً: وهم الطوائف التي ترعوي إلى ما ينثر ذلك العقد الذي نظمته أدلة السنة من أحد طرفيه من كل من رام أن يكون للإسلام فكان عليه ومرجعها إلى طرفي الإفراط والتفريط؛ فمن الإفراط مقالة الخوارج بتكفير مرتكب الذنب واعتقادهم أن مرتكب الذنب أو الذنوب كافر اسماً ومسمى، بل هو شر من الكافر؛ لأنه يعامل معاملة الكافر في الدنيا وفي الآخرة، ويراد بأن يطالب بما على المسلمين من اللوازم.

ولقد بالغ هؤلاء اعتبار الوازع حتى على المقصود بالإبطال؛ لأنه فسح باب الانسلال من الإيمان لأنهم لما جعلوا المعصية خروجاً عن الإيمان وجعلوا مرتكبها كافراً أو مساوياً للكافر في المصير، وكانت سلامة الناس من المعاصي نادرة جداً؛ فالعاصي ما دام مصراً على المعصية لم تبق له فائدة في التقيد بربقة الإيمان إلا عناء القيام بفروض الأعمال، وهي شاقة على النفوس.

فخير العاصي عند عصيانه أن ينخلع عن إيمانه من أصله إذا تاب إلى التوبة عن المعاصي؛ فحينئذٍ يسلم إسلاماً جديداً، ويبين ابن عاشور أن هذا الأمر لم يقصده الشارع ولو قصده لجعل عقوبات المعاصي كلها القتل مثل الردة.

وهذا منهج متميز لابن عاشور في الرد على مراعاة مقاصد الشارع إلى حفظ الضرورات كالنفس.

ثم يصنف ابن عاشور هذا الرأي بقوله: ولا يخفى ما في هذا الرأي من الوهن، وما لا يجب أن يغفل عنه علماء الأمة أن الإسلام حرص على أن تبقى جامعته غير مثلومة، وأصل الجامعة تأسس على كلمة الشهادة مخلصاً بها القلب(١).

---

(١) أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ص ٨٧.

وهنا نلحظ مراعاة ابن عاشور مقصد الشارع إلى بقاء الجماعة المسلمة التي عقد اجتماعها على الإقرار بالشهادة كما أشارت إلى ذلك الأحاديث الصحيحة من إعراض الرسول عن اتهام من يتهم أفراد المسلمين بالكفر والنفاق، وقوله الذي يرمي غيره بذلك.

استدل ابن عاشور على ذلك بحديث أسامة بن زيد؛ فعنه ﷺ أنه قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سرية، فصبحنا الحرقات من جهينة؛ فأدركت رجلاً فقال: لا إله إلا الله؛ فطعنته فوقع في نفسي من ذلك، فذكرته للنبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «أقال لا إله إلا الله وقتلته؟»، قال: قلت يا رسول الله إنما قالها خوفاً من السلاح، قال: «أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟»، فما زال يكررها علي حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ[(١)].

وأيضاً قوله ﷺ أيما امرئ قال لأخيه: يا كافر فقد باء بها أحدهما، إن كان كما قال، وإلا رجعت عليه[(٢)] وقوله عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»[(٣)].

ومن الأمور التي تميزت بها ردود ابن عاشور على الخوارج أيضاً مراعاة الواقع الفعلي وهو أن المؤمن غير العاصي نادر وقليل إذ يقول ابن عاشور: إن الخلو عن المعاصي لا يستتب إلا لقليل، ثم استدل بقوله تعالى: ﴿**إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ**﴾[(٤)]، إنما الأمر الذي يفضي إلى تكفير

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله، ١ / ٩٦، ح ٩٦.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر، ١ / ٧٩، ح٦٠.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، ١ / ٨١، ح ٦٥.

(٤) سورة ص: الآية: ٢٤.

المسلمين بسبب ارتكابهم الذنوب والكبائر وما ينتج عنه من فساد الأعمال إنما هو تحريض من الخوارج كما يرى الشيخ للعصاة.

وهنا أيضاً نلحظ تميزاً آخر لابن عاشور في ردوده على الخوارج؛ وهو اعتبار المآلات في الرد حين يذكر أن تكفير الخوارج للعصاة ينتج عنه أن يخرجوا من الإسلام مادام ارتكابهم الكبيرة يؤدي بهم إلى الخلود في النار على غرار الكفار، فمن المستحيل أن لا يقترف الشخص المسلم المعاصي كما يرى ابن عاشور قائلاً: "المسلم إنما أسلم فراراً من الخلود في النار فكيف يكون ارتكاب بعض المعاصي موجباً لانتقاض فائدة الإسلام؟ وإذا كان أحد لا يسلم من أن يقارف معصية وكانت التوبة الصادقة قد تتأخر وقد لا تحصل؛ فيلزمهم ويلزم الخوارج أن يعدوا جمهور المسلمين كفارً وبئس منكر من القول.

على أن هذا مما يجرئ العصاة على نقض عرى الدين، إذ ينسل عنه المسلمون لانعدام الفائدة التي أسلموا لأجلها بحكم، ثم استشهد ابن عاشور بأبيات المتنبي بقوله: أنا الغريب فما خوفي من البلل[١].

ويتعجب ابن عاشور من مساواة المؤمن العاصي بالكافر بقوله: (كيف يستوي عند الله العليم الحكيم رجلان أحدهما لم يؤمن ولم يسلم والآخر آمن وأسلم وامتثل وانتهى، إلا أنه اتبع الأمارة بالسوء

في خصلة أو زلة فيحكم بأن كلا الرجلين في عذاب وخلود؟ وهل تبقى فائدة لكل مرتكب معصية في البقاء على الإسلام إذا كان الذي فر من أجله للإسلام حاصلاً على كل تقدير وهو الخلود في النار حتى إذا أراد أن يتوب آمن يومئذ؟

(١) تفسير التحرير والتنوير ١ / ٢٧٠.

وهل ينكر أحد أن جل الأمة لا يخلون من التلبس بالمعصية والمعصيتين إذ العصمة مفقودة فإذا كان ذلك قبل التوبة كفراً فهل يقول هذا العاقل إن الأمة في تلك الحالة متصفة بالكفر ولا إخال عاقلاً يلتزمها بعد أن يسمعها(١).

ويستغرب ابن عاشور صدور مقالاتهم عن رموزهم الفكرية وعكوف أتباعه على ذلك بقوله: "ومن العجيب أن يصدر هذا القول من عاقل فضلاً عن عالم، ثم الأعجب منه عكوف أتابعهم عليه تلوكه ألسنتهم ولا تفقهه أفئدتهم، وكيف لم يقيض فيهم عالم منصف ينبري لهاته الترهات فيهذبها أو يؤولها كما أراد جمهور علماء السنة من صدر الأمة فمن يليهم(٢).

فالذي يعد الذنوب كفراً يلزمه أن يعدها خروجاً عن الجامعة؛ فيخسر الإسلام جمهرة عظيمة من أتباعه ويحرمه فوائد جمة من انتصاره بهم وانتفاعه.

ثم لا يخفى ما ينشأ عن هذا الاعتقاد السيء؛ اعتقاد تكفير العصاة من استباحة دمائهم وأموالهم ومن مهاجرة مخالطتهم، والخروج عن إمارتهم، وإلقاء العداوة والبغضاء بينهم وبين من يزعمون أنهم لم يقترفوا الذنوب، كما ظهر من فتن الحرورية والأزارقة بالمشرق والمغرب؛ مما سجل سواداً في بياض تاريخ الإسلام وكان أول شق فيه انثلام(٣).

ويحذر ابن عاشور من خطر هذا المذهب قائلاً: "مذهب الخوارج من أكبر الأخطار على الإسلام لما يقتضي من يأس العاصي في حال دوامه على المعصية؛ فلعل ذلك اليأس يخرجه من ربقة الإسلام، ولما في مذهب الخوارج خاصة من انحلال الجامعة الإسلامية لأن الذنوب لا يسلم منها إلا المعصوم، فلو راعى المسلمون مذهب الخوارج لكان إعلان الكفر والردة أهون على العاصي

(١) المصدر السابق: ١ / ٢٧٣.
(٢) المصدر السابق، ١ / ٢٧٠.
(٣) أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ص ٨٨.

من البقاء في الإسلام مع معصيته لأنه يثقل نفسه بقيوده ولا ينتفع برضى معبوده[1].

ثالثاً: الحكم على مرتكب الكبيرة عند الخوارج في التفسير

استدل الخوارج على تخليد أصحاب الكبائر من المسلمين في النار بقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[2].

يذكر ابن عاشور أن المقصود بإحاطة الخطيئة هي حالة الكفر؛ لأنها تجري على جميع الخطايا ولا يعتبر مع الكفر عمل صالح.

كما دل عليه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾[3]، إذ لا يكون المسلم محيطاً بالخطيئات، بل هو لا يخلو من عمل صالح، وحسبك من ذلك سلامة اعتقاده من الكفر وسلامة لسانه.

يقول ابن عاشور في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾[4]، إن الخوارج حكموا على صاحب الكبيرة والصغيرة أنه في النار خالد ولا إيمان له، وجعلوا آيات الوعد كلها مخصصة بالمؤمن المحسن والمؤمن التائب، وجعلوا آيات الوعيد عامة في العصاة كفاراً أو مؤمنين، وقال أهل السنة: آيات الوعد ظاهرة العموم، ولا يصبح نفوذ كلها لوجهه بسبب تعارضها كقوله تعالى: ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾[5]، وقوله: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ

---

(١) تفسير التحرير والتنوير، ص ١١٢.

(٢) سورة البقرة: الآية: ٨١.

(٣) سورة البلد: الآية: ١٧.

(٤) سورة النساء: الآية: ٤٨.

(٥) سورة الليل: الآيتان: ١٥، ١٦.

وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ ﴾[١]، فلابد أن نقول: إن آيات الوعد لفظها لفظ العموم، والمراد به الخصوص من المؤمن المحسن، وفيمن سبق في علم الله تعالى العفو عنه دون تعذيب من العصاة، وإن آيات الوعيد لفظها عموم والمراد به الخصوص في الكفرة، وفيمن سبق علمه تعالى أنه يعذبه من العصاة.

وفي قوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾[٢]، ذكر ابن عاشور أن الخوارج تأولوها كما تأولها المعتزلة بما أشار إليه الزمخشري في تفسيره[٣]، بأن قوله لمن يشاء معمول يتنازعه، لا يغفر المنفي ويغفر المثبت، وتحقيق كلامه أن يكون المعنى عليه، إن الله لا يغفر الشرك لمن يشاء ويغفر ما دون الشرك لمن يشاء، ويصير معنى لا يغفر لمن يشاء أنه لا يشاء المغفرة له إذ لو شاء المغفرة له لغفر له؛ لأن مشيئة الله الممكن لا يمنعها شيء، وهي لا تتعلق بالمستحيل؛ فلما قال: لا يغفر علمنا أن (لمن يشاء) معناه لا يشاء أن يغفر؛ فيكون الكلام من قبيل الكتابة، مثل قوله: لا أعرفنك تفعل كذا، أي لا تفعل فأعرفك فاعلاً، ثم يقول ابن عاشور إن هذا التأويل تعسف بيّن[٤].

فمذهب أهل السنة في ذلك أنه يعاقب ولا يخلد في العذاب بنص الشريعة لا بالوجوب، وهو معنى المشيئة، أما المعتزلة والخوارج فيرون أنه في النار خالدٌ بالوجوب العقلي.

وأيضاً استدل الخوارج على تخليد صاحب الكبيرة في النار بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ

(١) سورة الجن: الآية: ٢٣.

(٢) سورة النساء: الآية: ٤٨.

(٣) الزمخشري؛ أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي بيروت ط٣، ١٤٠٧هـ، ج١، ص٥١٩ – ٥٢٠.

(٤) تفسير التحرير والتنوير، ٥ / ٨١ – ٨٢.

﴿وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[1]، وأن التوبة ترد على جريمة قتل النفس عمداً، كما ترد على غيرها من الكبائر[2].

وكذلك استدلوا بقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾[3].

إن الآية لا تنهض حجة للمعتزلة ولا الخوارج الذين أوجبوا خلود مرتكب الكبيرة غير التائب في النار، والتسوية بينه وبين الكافر، وإن كان ظاهرياً قبل التأمل يوهم أنها حجة لهم؛ لأنه لو كان الأمر كما قالوا لصار الدخول في الإيمان مع ارتكاب كبيرة واحدة عبثاً لا يرضاه عاقل لنفسه، لأنه يدخل في كلفة كثير من الأعمال بدون جدوى منها، ولكان أهون الأحوال على مرتكب الكبيرة أن يخلع ربقة الإيمان إلى أن يتوب من الأمرين جميعا.

وسخافة هذا اللازم لأصحاب هذا المذهب سخافة لا يرضاها من له نظر ثاقب، والاشتغال بتبيين ما يستفاد من نظم الآية من ضبط الحد الذي ينتهي عنده الانتفاع بتحصيل الإيمان وتحصيل أعمال الخير، أجدى من الخوض في لوازم معانيها من اعتبار الأعمال جزءاً من الإيمان، لا سيما مع ما في أصل المعنى من الاحتمال المسقط للاستدلال[4].

(١) سورة النساء: الآية: ٩٣.

(٢) تفسير التحرير والتنوير، ٥ / ١٦٤.

(٣) سورة الأنعام: الآية: ١٥٨.

(٤) تفسير التحرير والتنوير، ٨/ ١٨٨.

قال ابن عاشور: وأما خلود غير الكافرين في النار من أهل الكبائر؛ فإن قوله: لا يموت فيها ولا يحيى جعلها غير مشمولة لهذه الآية، ولها أدلة أخرى اقتضت خلود الكافر وعدم خلود المؤمن العاصي، ونازعنا فيها المعتزلة والخوارج(١).

إذ بذكر ابن عاشور أن الإيمان هو أس هيكل النحاة، ولذلك كان الكفر أس الشقاء الأبدي فإن كل عمل سيء فإن سوأه وفساده جزئي منقض؛ فكان العقاب عليه غير أبدي، وأما الكفر فهو سيئة دائمة مع صحابها لأن مقرها قلبه واعتقاده، وهو ملازم له فلذلك كان عقابه أبدياً؛ لأن الحكمة تقتضي المناسبة بين الأسباب وأثارها فدل قوله: فلا يجزي إلا مثلها، أن جزاء الكفر شقاء أبدي؛ لأن مثل الكفر في كونه ملازماً للكافر إن مات كافرا.

وبهذا البيان أبطلنا قول المعتزلة والخوارج بمساواة مرتكب الكبائر للكافر في الخلود في العذاب، بأنه قول يفضي إلى إزالة مزية الإيمان، وذلك تنافيه أدلة الشريعة البالغة مبلغ القطع، ونظير هذا المعنى قوله تعالى: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾(٢).

فالخوارج ضيقوا مسألة العفو عن العصاة، وهذه المسألة كما يقول الشيخ ابن عاشور أمرها موكل إلى علم الله إلا أن الذي بلغنا من الشرع هو اعتبار الوعد والوعيد، وإلا لكان الزواجر كضرب في بارد الحديد، وإذا علمتم أن منشأ

(١) تفسير التحرير والتنوير، ١٦ / ٢٦٩.
(٢) سورة البلد: الآيات: ١٣- ١٧.

الخلاف فيها هو النظر لدليل الوجوب أو الجواز، علمتم خروج الخلاف فيها من الحقيقة إلى المجاز[1].

وأن الآيات القرآنية التي ذكر فيها الخلود في النار ووصف أهلها، نزلت في مكة التي لم يكن فيها إلا المسلمون الصالحون الجادون في أعمالهم والمشركون؛ فوصف أهل النار يومئذ لا يتحقق إلا في المشركين دون عصاة المؤمنين.

واختتم ابن عاشور كلامه في هذه المسألة بقوله: "ونحن أهل السنة لا نعتقد الخلود في النار لغير الكافر؛ فأما عصاة المؤمنين فلا يخلدون في النار وإلا لبطلت فائدة الإيمان[2].

الفرع الرابع: الإمامة عند الخوارج في التفسير

دلت الدلائل على أنه لابد للأمة من إمام وأنه ينصب للقضاة والولاة، فبالإمام يحفظ نظام الأمة وتنفذ الشريعة.

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ﴾[3]، قال ابن عاشور: في الآية إيماء إلى حاجة البشر إلى إقامة خليفة لتنفيذ الفصل بين الناس في منازعاتهم؛ إذ لا يستقيم نظام يجمع البشر بدون ذلك .. ؛ ولهذا أجمع أصحاب رسول الله بعد وفاة النبي ﷺ على إقامة الخليفة لحفظ نظام الأمة وتنفيذ الشريعة، ولم ينازع في ذلك أحد من الخاصة ولا من العامة إلا

(١) تفسير التحرير والتنوير، ١ / ٢٧٤.
(٢) المصدر السابق، ٣٠ / ١٨٢.
(٣) سورة البقرة: الآية: ٣٠.

الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى، ومن جفاة الأعراب ودعاة الفتنة، فالمناظرة مع أمثالهم سدى(١).

ويذكر ابن عاشور أن الخلافة لها منزلة عظيمة في الدين بقوله: (ولمكانة الخلافة في أصول الشريعة ألحقها علماء أصول الدين بمسائله فكان من أبوابه باب الإمامة)(٢).

تمسك الحرورية يوم حروراء، بقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ﴾(٣). وقد تداعى جيش العراق وجيش الشام إلى التحكيم بينهم؛ فثار الحرورية على علي بن أبي طالب، وأخذوا بتلبيس الأمور وتزينها للعامة.

وقالوا لا حكم إلا لله لا نحكم الرجال، (جعلوا التعريف للجنس والصيغة للقصر)، وحذقوا إلى هذه الآية وأغضوا عن آيات جمة؛ فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما سمعهم: كلمة حق أريد بها باطل(٤).

والإمام عند الخوارج إذا ارتكب الكبيرة فإنه يجب خلعه، وإنه ليس مستحقاً لإسناد الإمامة إليه التي تشمل الخلافة والإمارة والقضاء والفتوى ورواية العلم وإمامة الصلاة، وغيرها.

فمذهب جمهور أهل السنة أنه لا يخلع بالفسق والظلم وتعطيل الحدود، ويجب وعظه وترك طاعته فيما لا تجب فيه طاعة وهذا مع القدرة على خلعه؛ فإن لم يقدر عليه إلا بفتنة وحرب فاتفقوا على منع القيام عليه وأن الصبر على

---

(١) تفسير التحرير والتنوير، ١ / ٣٩٩.
(٢) أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ص ٢٠٧.
(٣) سورة غافر: الآية: ١٢.
(٤) تفسير التحرير والتنوير، ٢٤ / ١٠١.

جوره أولى من استبدال الأمن والخوف وإراقة الدماء وانطلاق أيدي السفهاء والفساق في الأرض، وهذا حكم كل ولاية في قول علماء السنة[(١)].

وقد رد ابن عاشور على الشيخ علي عبد الرازق الذي شكك في أن يكون في الكتاب والسنة ما يدل على وجوب نصب الخليفة، قال: "فإن كان ينحو بذلك إلى مذهب الخوارج من إنكار وجوب نصب الأمراء، فليذكر أن الأدلة الشرعية غير منحصرة في الكتاب والسنة؛ فإن الإجماع والتواتر وتظاهر الظواهر الشرعية هي دلائل قاطعة تربو على دلالة الكتاب والسنة إذا كانت ظنية، وقد تواتر بعث النبي ﷺ الأمراء والقضاة للبلدان النائية، وأمر بالسمع والطاعة بل وأمر القرآن بذلك أيضاً، فحصل في مجموع ذلك ما أوجب إجماع الأمة من عهد الصحابة رضي الله عنهم على إقامة الخليفة بعد وفاة الرسول ﷺ، فبايعوا أبا بكر رضي الله عنه وأطاعه المسلمون في سائر الأقطار، ولم ينكر ببيعته أحد[(٢)].

ويذكر ابن عاشور: ولم يعرف خلاف أحد من المسلمين في وجوب نصب الإمام إلا ما رمز إليه الحرورية يوم التحكيم بعد وقعة صفين؛ إذ قالوا لما سمعوا التحكيم: (لا حكم إلا لله) كلمة مموهة بجملة؛ فقال علي رضي الله عنه حين سمعاه: كلمة حق أريد بها باطل"[(٣)]

وصف ابن عاشور الخوارج بالبغاة؛ لأنهم خرجوا عن طاعة ولي الأمر وعن الجماعة بالسيف؛ إذ يترتب على هذا الخروج فتنة وتضييع للمصالح العامة

---

(١) المصدر السابق: ١ / ٧٠٧.

(٢) ابن عاشور محمد الطاهر، نقد علمي لكتاب الإسلام وأصول الحكم في الإسلام، القاهرة، المطبعة السلفية، (دز")، ١٣٤٤هـ، ص٥.

(٣) ابن عاشور محمد الطاهر، نقد علمي لكتاب الإسلام وأصول الحكم في الإسلام، ص ٧.

للمسلمين، وكذلك الخروج عن طاعة ولي الأمر بغي عليه وعلى الجماعة الذين معه[١].

ما هي الطرق التي دعا إليها ابن عاشور لمواجهة البغاة من الخوارج وغيرهم؟

يرى ابن عاشور أن مواجهة البغاة وغيرهم من الخوارج تكون بالإرشاد، والمجادلة الحسنة، والمناظرة؛ فإن لم ينجح ذلك فبالقتال كما فعل علي كرم الله وجهه في قتال الحرورية والحجاج عندما قاتلهم في معركة دبر الجماجم[٢] الذي خطبهم بخطبته الشهيرة قائلاً: (ألستم أصحابي بالأهواز حين رمتم بالغدر واستبطنتم الكفر)؛ ولأن تركهم بدون قتال يجر إلى استرسالهم في البغي، وإضاعة حقوق المبغي عليهم؛ في النفس، والأحوال، والأراضي، والله لا يحب الفساد، ولأن ذلك يجرئ غيرهم على أن يأتوا بمثل صنيعهم؛ فمقاتلتهم زجراً لغيرهم، وهو وجوب كفاية ويتعين بتعيين الإمام جيشاً يواجهه لقتالهم؛ إذ لا يجوز أن يلي قتالهم إلا الأئمة والخلفاء، فإذا اختل أمر الإمامة فليتول قتالهم السواد الأعظم من الأمة وعلمائها[٣].

---

(١) تفسير التحرير والتنوير، (٢٦ / ٢٤١).

(٢) دير الجماجم منطقة تقع بين البصرة والكوفة، وقد كان أحد القادة والشخصيات المهمة في العراق عبد الرحمن بن الأشعث الذي كلفه والي العراق آنذاك الحجاج بن يوسف الثقافي بعدة مهام منها حرب رتبيل ملك الترك، وقد وقع الخلاف بين الحجاج وابن الأشعث، أعلن ابن الأشعث حيال ذلك الخروج على الحجاج وعلى الدولة الأموية واجتمع حوله أهل العراق، ونتج عن ذلك معركة دير الجماجم سنة ٨٣هـ، التي انتهت بانتصار الحجاج وهزيمة ابن الأشعث وقتله، تاريخ الطبري ٦ / ٣٤٦، البداية والنهاية لابن كثير ٩ / ٥٠.

(٣) تفسير التحرير والتنوير، ٢٦ / ٢٤٠ – ٢٤١.

وذكر ابن عاشور أحاديث تحذر من الخروج على الحاكم؛ فعن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات وليست عليه طاعة مات ميتة جاهلية، فإن خلعها من بعد عقدها في عنقه لقي الله تبارك وتعالى، وليست له حجة»(١).

وعن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ قال: «من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه حتى يراجعه ومن مات وليس عليه إمام جماعة فإن موتته موتة جاهلية»(٢).

الفرع الخامس: الشفاعة ورؤية الله وأطفال المشركين عند الخوارج في التفسير

أولاً: تعريف الشفاعة عند ابن عاشور في التفسير:

عر ابن عاشور الشفاعة بأنها: السعي والوساطة في حصور نفع أو دفع ضر، سواء كانت الوساطة بطلب من المنتفع بها أم كانت بمجرد سعي المتوسط، ويقال لطالب الشفاعة مستشفع، وهي مشتقة من الشفع؛ لأن الطالب أو التائب يأتي وحده؛ فإذا لم يجد قبولاً ذهب فأتى بمن يتوسل به؛ فصار ذلك الثاني شافعاً للأول أي مصيره شفعا(٣).

ثانياً: الشفاعة عند الخوارج في التفسير:

قال ابن عاشور: وقد أنكر بعض أقسام الشفاعة طوائف من المبتدعة في الدين، وأول من أنكر الشفاعة الخوارج في عصر الصحابة؛ ففي صحيح مسلم عن يزيد الفقير أنه قال: كنت قد شغفني رأي من رأي الخوارج، فخرجنا في

---

(١) رواه أحمد في مسنده ٢٤ / ٤٦١، ح ١٥٦٩٥، وابن أبي عاصم في سننه ٢ / ٥٠٤، ح ١٠٥٨، وقال الألباني في تحقيقه لكتاب السنة لابن أبي عاصم: إسناده ضعيف لضعف عاصم بن عبيد الله، وسوء حفظ شريك وهو ابن عبد الله القاضي.

(٢) رواه الحاكم في مستدركه ١/ ١٥٠، ح ٢٥٩، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٣) تفسير التحرير والتنوير: ١ / ٤٨٦.

عصابة ذوي عدد نريد أن نحج، ثم نخرج على الناس، قال: فمررنا على المدينة فإذا جابر بن عبد الله يحدث القوم، جالس على سارية، عن رسول الله ﷺ، قال: فإذا هو قد ذكر الجهنميين، قال: فقلت له: يا صاحب رسول الله، ما هذا الذي تحدثون؟ والله يقول: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾[(١)]، و ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾[(٢)]، فما هذا الذي تقولون؟

قال: فقال: "أتقرأ القرآن"؟ قلت: نعم، قال: "فهل سمعت بمقام محمد ﷺ، يعني الذي يبعثه الله فيه؟" قلت : نعم، قال: "فإنه مقام محمد ﷺ المحمود الذي يخرج الله به من يخرج"، قال: ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه..)[(٣)]، وإن إنكار الشفاعة عندهم مبني على أصلهم؛ فإنهم يقولون بأن مرتكب الكبيرة مستوجب الخلود في النار، وأدلتهم في ذلك ظواهر القرآن التي أقامت لهم أصلاً قاطعاً من أول الاعتقاد في نظرهم، واستدلوا بها على نفي الشفاعة منها قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾[(٤)]، وقوله تعالى: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ﴾[(٥)].

---

(١) سورة آل عمران: الآية: ١٩٢.

(٢) سورة الحج: الآية: ٢٢.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، أدنى أهل الجنة منزلة فيها، ١ / ١٧٩، رقم الحديث: ١٩١.

(٤) سورة البقرة: الآية: ٤٨.

(٥) سورة البقرة: الآية: ٢٥٤.

فيذكر ابن عاشور أن حديث جابر الذي تقدم ذكره لهو من أعظم الحجج على بطلان مقالة الخوارج[1]، وكذلك رد عليهم بتفسيره قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٠٧) وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[2].

فالمقصود بالاستثناء الأول أن أهل النار مراتب في طول المدة، فمنهم من يعذب ثم يعفى عنه، مثل أهل المعاصي من الموجودين، كما جاء في الحديث: أنهم يقال لهم الجهنميون في الجنة، ومنهم الخالدون وهم المشركون والكفار.

وأما الاستثناء الثاني الواقع في جانب الذين سعدوا، فيحتمل أن يراد: إلا ما شاء ربك في أول أزمنة القيامة، وهي المدة التي يدخل فيها عصاة المؤمنين غير التائبين إلى أن يعفو الله عنهم بفضله بدون شفاعة، أو بشفاعة كما في الصحيح من حديث أنس: "يدخل ناس جهنم حتى إذا صاروا كالحممة أخرجوا وأدخلوا الجنة فيقال هؤلاء الجهنميون"[3]، وعن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال:

(١) ابن عاشور محمد الطاهر، تحقيقات وأنظار في الكتاب والسنة، دار السلام للنشر والتوزيع والترجمة، مصر، ودار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ط٢، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م، ص ١٧٤ – ١٧٦.

(٢) سورة هود: الآيات: ١٠٦– ١٠٨.

(٣) رواه أحمد في مسنده، ٢٠ / ٢٤٨، رقم الحديث: ١٢٨٩٦، وهو صحيح من حيث إسناده.

(يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان)[١]، وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)[٢].

وإذا أخرج عصاة المؤمنين من النار ود الذين كفروا في النار لو كانوا مسلمين[٣].

ثالثاً: رؤية الله عند الخوارج في التفسير:

يذكر ابن عاشور أن الخوارج الأقدمين غير الذين التزموا طريقة المعتزلة؛ فالأقدمون يثبتون رؤية الله في الآخرة لتمسكهم بظاهر الأدلة وعدم صرفها عن ظاهرها[٤].

ذهب الأزارقة من الخوارج إلى أن أولاد المشركين تبع لآبائهم، والصحيح الذي عليه المحققون والجمهور أنهم في الجنة[٥]، وقد استدل ابن عاشور على ذلك بحديث أبي هريرة فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها جدعاء)[٦].

---

(١) رواه الترمذي في سننه: باب ما جاء في الكبر ٣ / ٤٢٩، رقم الحديث ١٩٩٩.
(٢) رواه الترمذي في سننه: باب ما جاء في الشفاعة ٤ / ٢٠٣، رقم الحديث ٢٤٣٥.
(٣) تفسير التحرير والتنوير، ١٤ / ١١.
(٤) المصدر السابق: ٢٩ / ٣٥٤.
(٥) تفسير التحرير والتنوير، ٣٠ / ١٤٨
(٦) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، ٢ / ١٠٠، رقم الحديث ١٣٨٥.

الخاتمة

وفيها أهم النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج:

توصلت من خلال عرض محتوى البحث إلى أهم النتائج وهي كما يلي:

١- تميز ابن عاشور بثقافة شرعية، لغوية، وفلسفية، مع إلمامه بشتى العلوم التي تضمنها القرآن الكريم، كما كان له معرفة بالأديان والملل والنحل.

٢- حظي تفسير التحرير والتنوير بمكانة علمية لما احتواه من كنوز معرفية في شتى المجالات.

٣- عرض ابن عاشور آراء الخوارج في مسائل الإيمان ومرتكب الكبيرة والحكم عليه، والإمامة، والشفاعة، وأطفال المشركين، ورؤية الله في الآخرة، وقدم استخدم في رده عليهم أسلوباً نقديا.

٤- خطورة فكر الخوارج؛ إذ يعد من أكبر الأخطار على الإسلام؛ لما في مذهب الخوارج خاصة من انحلال الجامعة الإسلامية، وهناك. عدة أساليب دعا إليها ابن عاشور لمواجهة هذا الفكر منها ما يكون بالإرشاد، والمجادلة الحسنة، ومنها ما يكون بالمناظرة، فإن لم ينجح كل ذلك فبالقتال كما فعل علي. كرم الله وجهه؛ لأن ترك هؤلاء بدون مواجهه يترتب عليه شر وفساد عظيم.

ثانياً: التوصيات:

١-حث الباحثين على استكمال تناول بقية الفرق الإسلامية من خلال تفسير التحرير والتنوير؛ إذ يشمل التفسير من خلال دراستنا واستطلاعنا على اغلب الفرق الإسلامية.

٢-دعوة العلماء وطلبة العلم للاستفادة من ابن عاشور في مواجهة فكر الخوارج التكفيريين.

٣-حث الجامعات والمراكز العلمية لدراسة سيرة ابن عاشور لما له من مكانة علمية في العالم الإسلامي، ولما تركه من إرث علمي متنوع.

المصادر والمراجع

١- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، بيروت، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م.

٢- آدم جمعة آدم، منهج الإمام ابن عاشور في تقرير العقيدة من خلال تفسيره التحرير والتنوير، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، جامعة أم درمان، السودان، ٢٠٠٤م،.

٣- النذير أُوسالم، محمد، الاختيارات العلمية للعلامة محمد الطاهر ابن عاشور من خلال تفسيره التحرير والتنوير، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

٤- النعيم، عبير عبد الله، قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير، دراسة تأصيلية تطبيقية، تقديم فهد بن عبد الرحمن الروقي، الرياض، دار التدمرية، ط١، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.

٥- ابن الخوجة، محمد الحبيب، محمد الطاهر بن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م

٦- محفوظ، محمد: تراجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

٧- الحمد، محمد إبراهيم، التقريب لتفسير التحرير والتنوير، الرياض، دار ابن خزيمة، ط١، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

٨- أبو حسان، جمال محمود أحمد، "الإمام محمد الطاهر بن عاشور: سيرة ومواقف"، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، الأردن، المجلد الخامس، العدد: (أ/٣)، ١٤٣٠هـ _٢٠٠٩م.

٩- الترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الكبير – سنن الترمذي ،تحقيق بشار عواد ، بيروت، دار الغرب الإسلامي ،(دط)، ١٩٩٨م.

١٠-صقر، نبيل أحمد، منهج الإمام الطاهر بن عاشور في التفسير، القاهرة، الدار المصرية، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

١١- الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م.

١٢-الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو، أساس البلاغة، محمد باسل عيون السود، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ -١٩٩٨م.

١٣-الفيروز آبادي، مجد الدين، القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ط٨، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

١٤-البخاري ، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (دم)، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

١٥-ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، تلبيس إبليس، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، ط ١، ١٤٢١هـ _٢٠٠١م

١٦-الآجري، محمد بن الحسين، الشريعة، تحقيق: الوليد بن محمد نبيه سيف الناصر، (دم)، مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤١٧هـ-.١٩٩٦م.

١٧-ابن أبي العز الحنفي، صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عبد الله بن عبد المحسن التركي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١٠، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

١٨-ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، (دم)، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

١٩-الفرق بين الفرق، البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد، الفرق بين الفرق، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط٢، ١٩٧٧م.

٢٠-أمين، أحمد، فجر الإسلام، بيروت، دار الكتاب العربي، ط١٠، ١٩٦٩م.

٢١-ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٧هـ -١٩٩٧م

٢٢-النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، شرح النووي على مسلم، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٣٩٢هـ،

٢٣-ابن العربي القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر المعافري الإشبيلي المالكي، العواصم من القواصم، تحقيق عمار طالبي، دار التراث، مصر، (دت).

٢٤-الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

٢٥-ابن عاشور محمد الطاهر، نقد علمي لكتاب الإسلام وأصول الحكم في الإسلام، القاهرة، المطبعة السلفية، (دط)،١٣٤٤هـ.

٢٦-ابن عاشور، محمد الطاهر، تحقيقات وأنظار في الكتاب والسنة، دار السلام للنشر والتوزيع والترجمة، مصر، ودار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ط،٢ ١٤٢٩هـ _٢٠٠٨م.

References :

1- alzirkili, khayr aldiyn bin mahmud bin muhamad bin ealiin bin farsa, bayrut, dar aleilm lilmalayini, ta15, 2002m.
2- adim jumeat admi, manhaj al'iimam aibn eashur fi taqrir aleaqidat min khilal tafsirih altahrir waltanwira, risalat majistir, kuliyat 'usul aldiyn, jamieat 'am darman, alsuwdan, 2004ma,.
3- alnadhir 'uwsalm, muhamad, aliakhtiarat aleilmiat lilealaamat muhamad altaahir aibn eashur min khilal tafsirih altahrir waltanwiru, dar aibn hazma, bayrut, ta1, 1430h-2009m.
4- alnueim, eabir eabd allah, qawaeid altarjih almutaealiqat bialnasi eind aibn eashur fi tafsirih altahrir waltanwira, dirasat tasiliat tatbiqiatun, taqdim fahd bin eabd alrahman alruwqi, alrayad, dar altadmuriati, ta1, 1436h-2015m.
5- abn alkhawjat, muhamad alhabib, muhamad altaahir bin eashur wakitabuh maqasid alsharieati, wizarat al'awqaf walshuwuwn al'iislamiati, qutru, ta1, 1425h-2005m
6- mahfuza, muhamadi: tarajim almualifayn altuwnisiin, dar algharb al'iislamii, bayrut, ta1, 1404h-1984m.
7- alhamdu, muhamad 'iibrahim, altaqrib litafsir altahrir waltanwiri, alrayad, dar abn khuzaymata, ta1, 1433h-2012m.
8- 'abu hasaan, jamal mahmud 'ahmad, "al'iimam muhamad altaahir bin eashur: sirat wamawaqifu", almajalat al'urduniyat fi aldirasat al'iislamiati, al'urdunn, almujalad alkhamis, aleadad: ('a/3), 1430h _2009m.

9- altirmidhi, muhamad bin eisaa, aljamie alkabir - sunan altirmidhii ,tahqiq bashaar eawad , bayrut, dar algharb al'iislamii ,(dita), 1998m.
10- saqra, nabil 'ahmadu, manhaj al'iimam altaahir bin eashur fi altafsiri, alqahirati, aldaar almisriatu, ta1, 1422h-2001m.
11- al'azhari, muhamad bin 'ahmadu, tahdhib allughati, tahqiqu: muhamad eawad mureibi, bayrut, dar 'iihya' alturath alearabii, ta1, 2001m.
12- alzamakhshari, 'abu alqasim mahmud bin eamru, 'asas albalaghati, muhamad basil euyun alsuwd, bayrut, dar alkutub aleilmiati, ta1, 1419h -1998m.
13- alfiruz abadi, majd aldiyn, alqamus almuhayti, tahqiqu: muhamad naeim aleirqasusi, bayrut, muasasat alrisalat liltibaeat walnashri, ta8, 1426hi- 2005m.
14- albukhariu , muhamad bin 'iismaeila, sahih albukhari, tahqiqu: muhamad zuhayr bin nasir alnaasir, (dam), dar tawq alnajati, ta1, 1422h.
15- abn aljuzi, eabd alrahman bin eulay, talbis 'iiblisa, bayrut, dar alfikr liltibaeat walnashri, t 1, 1421h _2001m
16- alajri, muhamad bin alhusayn, alsharieati, tahqiqu: alwalid bin muhamad nabih sayf alnaasir, (dim), muasasat qurtibat, ta1, 1417h-1996m.
17- abin 'abi aleizi alhanafii, sadar aldiyn muhamad bin eala' aldiyn eali bin muhamad, sharh aleaqidat altuhawiati, tahqiqu: shueayb al'arnawuwta, eabd allah bin eabd almuhsin alturki, bayrut, muasasat alrisalati, ta10, 1417h-1996m.

18- abin kathir, 'abu alfida' 'iismaeil bin eumar bin kathir alqurashiu, albidayat walnihayatu, tahqiqu: eali shiri, (dam), dar 'iihya' alturath alearabii, ta1, 1408hi- 1988m.
19- alfarq bayn alfirqi, albaghdadii, eabd alqahir bin tahir bin muhamad, alfarq bayn alfirqi, birut, dar alafaq aljadidati, ta2, 1977m.
20- 'amin, 'ahmadu, fajar al'iislam, bayrut, dar alkitaab alearabii, ta10, 1969m.
21- abn al'athir, 'abu alhasan eali bin 'abi alkaram muhamad bin muhamad, alkamil fi altaarikhi, tahqiqu: eumar eabd alsalam tudamuri, bayrut, dar alkitaab alearabii, ta1, 1417h -1997m
22- alnawawi, 'abu zakariaa muhyi aldiyn yahyaa bin sharaf, sharh alnawawii ealaa muslmi, bayrut, dar 'iihya' alturath alearabii, ta2, 1392h,
23- abn alearabi alqadi muhamad bin eabd allah 'abu bakr almueafiri al'iishbiliu almalki, aleawasim min alqawasimi, tahqiq eamaar talbi, dar altarathi, masr, (dt).
24- alzamakhshari, 'abu alqasim mahmud bin eamriw bin 'ahmadu, alkashaaf ean haqayiq ghawamid altanzilu, dar alkutaab alearabii, bayrut, ta3, 1407h.
25- abin eashur muhamad altaahir, naqd eilmiun likitab al'iislam wa'usul alhukm fi al'iislami, alqahirati, almatbaeat alsalafiati, (dita),1344h.
26- abin eashur, muhamad altaahir, tahqiqat wa'anzar fi alkitaab walsunati, dar alsalam lilnashr waltawzie waltarjamati, misr, wadar sihnun lilnashr waltawzie, tunis, ta,2 1429h _2008m.